الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الدكتور مولاي الطاهر

كلية الآداب واللغات والفنون

القسم: اللغة والأدب العربي

سعيدة

رسالة مقدمة لنيل شهادة الماستر – لسانيات الخطاب

الفصل والوصل في القرآن الكريم
دراسة بلاغية سورة الكهف أنموذجا

من إعداد الطالب:

- بوعزة ماحي

الإشراف:

- الأستاذ. د. زحاف الجيلالي

لجنة المناقشة:

- الأستاذ:	د. كريم بن سعيد	- رئيساً
- الأستاذ:	د. زحاف جيلالي	- مشرفاً ومقرراً
- الأستاذ:	د. بوديـــة أحمد	- مناقشاً

السنة الجامعية: 2020-2021

الفصل والوصل في القرآن الكريم دراسة بلاغية

- سورة الكهف أنموذجا -

بسم الله الرحمن الرحيم
إنه من سليمان وإنه

إهـــداء

إهـــداء

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله أهل الحمد ومستحقه وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له في إبداع خلقه وأشهد أن محمدا عبده ورسوله أفضل الخلق نفسا ونسبا، الناطق بأفضل لغة، وعلى آله الأطهار وأصحابه الأخيار وبعد .

بمناسبة إنهاء المسار الدراسي والتخرج من طور ماستر، أتقدم بتحياتي الحارة للوالدين الكريمين داعيا الله عز وجل أن يمن عليهما بفضله جنة الفردوس على ما قدموه لي من معروف، وإحسان والقيام على شؤوني حتى صرت رجلا لقوله تعالى: ((وقل ربي ارحمهما كما ربياني صغيرا)) .

أحيي رفيقة حياتي تحية احترام وتقدير، وكذا أبنائي الأعزاء، متضرعا إلى المولى سبحانه وتعالى أن يقر بهم عيني، وأن يرزقهم العلم النافع والأخلاق الفاضلة.

شکر و عرفان

شكر وعـرفان

أتقدم بشكري الجزيل إلى كل أساتذة الأدب العربي بكلية الآداب واللغات والفنون بجامعة مولاي الطاهر سعيدة وأخص بالذكر الأساتذة الذين درسوني في هذه الفترة التكوينية وعلى رأسهم الأستاذ الفاضل الدكتور **زحاف الجيلالي** الذي تتلمذة على يده، والذي كان الرفيق الدائم أثناء تحضير المذكرة، أشكره الشكر الجزيل على المجهودات الجبارة التي قدمها لي من أجل تمهيد الطريق للوصول إلى الغاية المنشودة.

وفي الأخير أهنئ كل زملاء التخرج، وإني لأرجو أن يكون بحثي هذا محققا لغايته، وأسأله سبحانه وتعالى أن يرزقنا الإخلاص في الأفعال والأقوال وأن يعلمنا ما ينفعنا وأن ينفعنا بما علمنا إنه هو العليم الحكيم، ونشكره سبحانه وتعالى على منه علينا وتوفيقه لنا .

المقدمـــــة

مقدمــة:

مما لا شك فيه أن فروع اللغة العربية جلها، إنما وجدت لخدمة القرآن الكريم، فلا عرو في ذلك، فإنما كتاب الإنسانية الأكبر، وأمة وحدة في البلاغة والفصاحة، والمنار الشامخ الخليق بأن تكون تراكيبه وأساليبه المثال الذي يهتدى به، وقد شرف الله عز وجل اللغة العربية بأن جعلها لغة هذا الكتاب الإلهي المعجز، ولا يقصد باللغة –هنا– لغى التخاطب العادية، وإنما باللغة الأدبية التي زل بها نص القرآن الكريم، فهي لغة القرآن والحديث والشعر، فأصبح لزاما على من يود أن يقف على وجوه إعجاز هذا السفر الرباني أن يتدارى لغته، واللغة عبارة عن مجموعة من العلاقات المعنوية واللفظية، تتجلى فيها المكونات اللغوية بالتماسك الفني ويوحي بالسبك الأدائي المعبر عن جمالية الفن الرفيع، والبلاغة الراقية، والأساليب الرصينة التي تتشكل في إطار النظم الذي يمنح الألفاظ سبكا في السياق، على مستوى الأصوات والأبنية والتراكيب، وأن التحول في الأداء من هذا الإطار قصد توسيع نطاق النظم لاستيعاب الدلالات المتعددة ينحو بالنظم منحنى أسلوبيا، وتتباين الأساليب البلاغية تبعا لتباين فنون القول وما يمتاز به كل فن منها وتسير هذه الأساليب في طرائق ثلاث لتشكل علوم البلاغة التي تشمل ثلاثة بحوث: "المعاني–البيان–البديع": فموضوعات البلاغة الثلاثة هذه أصبحت دراسة مهمة تقع في نطاق ما يسميه المحدثون الغربيون في اللغويات الحديثة باسم الأسلوبيات (Stylistics) أي علم الأسلوب التعليمي، ويقصد بالأسلوب البلاغي في التعبير القرآني ما اشتمل على النص القرآني من ظواهر التضام، في نحو: الحذف والزيادة، والإضمار والذكر، والتقديم والتأخير، والإيجاز والمساواة، فضلا عن موضوعنا (الفصل والوصل)، وظواهر المطابقة، كاختلاف المتعاطفين.

المدخل

مدخل:

تاريخية المقارنة بين البلاغتين العربية والفارسية.

على الرغم من العناية الجلية التي أولتها المؤلفات التراثية العربية قضية المفاضلة بين العرب والعجم، خاصة بعد اشتداد عادية الشعوبية وقوة شوكتها، فإن المفاضلة البلاغية بين العرب وغيرهم لم تحظ، في ما يظهر، بمؤلفات خاصة بها، اللهم إلا رسالة أبي أحمد العسكري (ت 382هـ) ذات العنوان اللافت: "التفضيل بين بلاغتي العرب والعجم" وفيما عدا هذه الرسالة، لا يكاد يظفر بغير ملاحظات ونظرات مبثوثة هنا وهناك.

إن أول حقيقة لا يمكن تجاهلها، هي أن هذه الملاحظات والنظرات لا تنبثق، في معظم الحالات، من منطق موضوعي محايد غير محكوم بمؤثرات ومحددات مسبقة، بل هي تنطلق من نظرة استعلائية مسبقة ترى أن اللغة العربية هي "أفصح اللغات وأكملها وأتمها وأعذبها وأبينها"، وهذه النظرة تستند أول ما تستند، إلى كون العربية هي اللغة التي نزل بها القرآن الكريم الذي هو أفصح الكلام وأبلغه، بلا ريب. يقول ابن فارس (ت 395هـ) في باب عنوانه "القول في أن لغة العرب أفضل اللغات وأوسعها"[1]: ((قال جل ثناؤه: وإنه لتنزيل بلسان عربي مبين))[2] فوصفه جل ثناؤه بأبلغ ما يوصف به الكلام وهو البيان، وقال سبحانه وتعالى: خلق الإنسان علمه البيان[3]، فقدم جل ثناؤه ذكر البيان على جميع ما توحد بخلقه وتفرد بإنشائه، من شمس وقمر ونجم وشجر وغير ذلك من الخلائق المحكمة، فلما خص الله تعالى اللسان العربي بالبيان علم أن سائر اللغات قاصرة عنه وواقعة دونه.

مصادر البلاغة عند الفرس:

أول ما يستوقف نظر الباحث في تاريخ علوم البلاغة عند الفرس هو التأخر النسبي لبدء ظهور المؤلفات البلاغية قياسا إلى ظهور مثيلاتها العربية، فإذا كانت المؤلفات البلاغية العربية قد

---

(1)– أحمد بن فارس الرازي، الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، ص43-44.

(2)– سورة الشعراء، الآيات: 192-195.

(3)– سورة الرحمن الآيات: 3-4.

وصلت إلى مرحلة تكاملها بين أواسك القرن الرابع وأوائل القرن الخامس الهجريين، كما ذكر[1] فإن هذه المدة نفسها، في نهايتها، هي البداية المعروفة للبلاغة الفارسية، ذلك أن "التحقيق في أصول البلاغة والبحث في الكلام من حيث قوانين الفصاحة والبلاغة في اللغة الفارسية قد شرع به منذ أوائل القرن الخامس فما بعد". وأقدم التحقيقات في هذا الباب هو لبهرامي السرخسي، شاعر بداية القرن الخامس ومعاصر السلطان محمود الغزنوي.

التأثير والتأثر:

لم تعد الدراسات المقارنة المعاصرة تحقل بالضرورة بشرط التأثير والتأثر بين موضوعات مقارناتها، وهو الذي جعلته المدرسة الفرنسية أحد الشروط الرئيسية لمشروعية المقارنة، فقد "جاءت المدرسة الأمريكية لتقول بإمكانية دراسة التشابه والتوازي (Paralellism) حيث يمكن دراسة الموضوعات المتشابهة لإبراز خصائص كل منها بغض النظر عن وجود صلة تاريخية أو علاقات تأثير وتأثر فعلية بينهما أو بين عدة أعمل أدبية، كذلك دراسة مورفولوجية صين أدبيين متشابهين دون أن يكون بينهما علاقة فعلية سلبا أو إيجابا".[2]

ولعل موضوع هذه الدراسة هو من هذا القبيل ،حيث إنه مما لا يرتاب فيه أحد أن العلاقة بين علوم البلاغة عند العرب ومثيلاتها عند الفرس ليست علاقة مشابهة وتواز فحسب، إنما هي علاقة تأثير وتأثر جليسين، فكتب البلاغة العربية كانت الأساس الذي بنيت عليه كتب البلاغة الفارسية.

البلاغة علوما ثلاثة:

لم تكن البلاغة العربية بدعا من العلوم، إذاً، حيث نشأت، في أول أمرها، مجملة الطابع، قد تداخلت مباحثها، تلاقت مسائلها، دون تمييز أو تصنيف واضح لها، بل اختلط معها ما ليس منها، كمباحث التفسير وعلم الكلام وأصول الفقه والنحو والصرف والفلسفة والمنطق، وهذه كلها من آثار

---

[1]– حميد زرين كوب: تكامل بلاغة وبديع قرن چهارم وپنجم هجري، مجلة دانشكده أدبيات وعلوم إنساني، سال يازدهم، تابستان 1354هـ س، ص215.

[2]– عز الدين المناصرة: المثاقفة والنقد المقارن، ص66.

الأوساط العلمية المختلفة التي أثرت في الكتابات البلاغية العربية، ووجهت مباحثها وجهات تناسبها[1] وطبيعي بعد كل هذا الاختلاط والتشابك، ألا تكون ثمة حدود فاصلة بين مباحث "المعاني" و"البيان" و"البديع" فهذه الكلمات لم تكن قد ا تخذت دلالاتها الاصطلاحية بعد، ولم تحدد لها حدود وموضوعات معينة، ولئن سئمت بها بعض المؤلفات المبكرة، فسمى الجاحظ كتابه "البيات والتبيين" وسمى ابن المعتز كتابه "البديع" وسمى أبو هلال العسكري كتابه "ديوان المعاني" فإن هذه التسميات لم تكن تحمل الدلالات الاصطلاحية الضيقة التي ولدت من بعد، إذ كانت واسعة سعة مفهوم "البلاغة" نفسه.

لقد كان الزمخشري أول من ميز بين علمي المعاني والبيان فقال في معرض حديثه عن دقة مسلك علم التفسير وصفات العلماء الذين يمكنهم سلوكه "لا يتصدى منهم أحد لسلوك تلك الطرائق، ولا يغوص على شيء من تلك الحقائق، إلا رجل قد برع في علمين مختصين بالقرآن وهما علم المعاني وعلم البيان".[2]

[1]– أحمد مطلوب، البحث البلاغي عند العرب، ص29-54.

[2]– الزمخشري: الكشاف 1، ص15-16.

الفصل الأول

البلاغـــة العـــربية

البلاغة العربية وأقسامها: [1]

أ- تعريف البلاغة:

البلاغة هي فن القول، فن جمالية الخطاب الأدبي، الذي تتميز لغته من لغة الخطاب العادي بما فيها من "عدول" أو "انزياح" عن الكلام المتداول المألوف.

وقد مثلت ظواهر "العدول" هذه البلاغة بمباحثها المختلفة التي استوعبتها علوم البلاغة العربية الثلاثة: المعاني، والبيان، والبديع؛ إذ مثل كل منها وجها من وجوه الظاهرة الجمالية في الأسلوب العربي.

والبلاغة قد تستعمل –شأن أي كلام- في الحق والباطل، وحديث رسول الله (ص): "إن من البيان لسحرا"[2] يحتمل المدح والذم، فقد يكون الكلام ساحرا خلابا يحتمل المتلقي غلى التأثر بالموعظة والحكمة وقبولهما، وقد يكون لتزييف الحقية، والسحر عنها والترويج للباطل بكلام منمق جميل، ولذلك حذر النبي (ص) من استغلال البلاغة وجمال القول في الباطل وجذاع الناس، واستئكال عقولهم، فقال عليه الصلاة والسلام: "من تعلم صرف الكلام ليسبي به قلوب الرجال أو الناس لم يقبل الله منه يوم القيامة صرفا ولا عدلا".[3]

إن البلاغة فن راقي عظيم، وكلام الله في القرآن الكريم ذروة سنامها، ثم يليه حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد كانت وسيلة لإيصال شرع الله الحق إلى الناي بطريقة مؤثرة مقنعة، نفذت إلى العقول والأفئدة، فكانت سببا في الانتقال من الكفر إلى الإيمان، ومن الضلالة إلى الهداية.

---

[1]- وليد ابراهيم قصاب: البلاغة العربية: علم البديع، دمشق دار الفكر، ط2، 2014، ص9-10.

[2]- رواه الأمام أحمد في مسنده: 269/1.

[3]- سنن أبي داود 302/4.

لقد كان من أغراض البلاغة العربية الكبرى إبراز أسرار الأسلوب القرآني، والوقوف على طاقاته التعبيرية الهائلة التي أعجزت أهل اللسن في كل زمان ومكان، ثم صارت علما معياريا يقاس به جمال الكلام، وتعرف خصائصه التعبيرية.

ب– أقسام البلاغة: [1]

تنقسم البلاغة إلى ثلاثة أقسام:

المبحث الأول: علم المعاني.

هو علم نظم الألفاظ والعبارات على أسلوب معين، يراعى فيه أمران هما: قواعد النحو، ومطابقة الكلام لمقتضى الحال.

ولذلك يقدم اللفظ حينا ويؤخر حينا، ويحذف ويذكر، ويعرف وينكر، ويضمر ويظهر، وما شاكل ذلك من حالات تصيب الكلام، ويخضع ذلك كله –بعد تطبيق أحكام النحو وقواعده– لمقتضى الحال، والمناسبة التي تستدعيه، والسياق الذي يرد فيه.

إذا كان بين يديك ألفاظ مثل: (صباحا، الولد، إلى، ذهب، المدرسة) فإنك عند نظمها –حتى تكون ذا معنى، معبرة عن دلالة خاصة– تراعي الأمرين السابقين معا: قواعد النحو، ومقتضى الحال. فإذا قلت مثلا:

- ذهب الولد إلى المدرسة صباحا.
- إلى المدرسة ذهب الولد صباحا.
- صباحا ذهب الولد إلى المدرسة.

[1]– وليد ابراهيم قصاب: سلسلة البلاغة العربية علم المعاني، دار الفكر دمشق، مكتبة الأسد، ط2، 2014، ص16-18.

فهذه ثلاثة أساليب تتفق مع قواعد النحو، ولا يعد أحدها خروجا عليه، ولكنك لا تكتفي بذلك، بل لا بد أن تراعي الشرط الآخر حتى يكون كلامك بليغا. فتقول: ذهب الولد إلى المدرسة صباحا.

عندما يكون الأمر عاديا، إخبارا عن ذهاب الولد، أي إخبارا عن الحدث، ولكن إذا كان من عادة الولد مثلا أن يتأخر، أو لا يذهب صباحا، وأردت لفت النظر إلى توقيت خروجه، قلت مقدما الظرف، لأنه موضع الاهتمام: صباحا ذهب الولد إلى المدرسة.

وإذا كان الولد لم يألف الذهاب إلى المدرسة، أو لم يعتد ذلك، أو ما كان من هذا القبيل، وأردت لفت النظر إلى مكان ذهابه قلت: إلى المدرسة ذهب الولد صباحا.

إن نظم الكلام، أي تركيبه وتأليفه، وفق هذه الاعتبارات المكورة آنفا هو علم المعاني.

قال الخطيب القزويني في تعريفه: "هو علم يعرف به أحوال اللفظ العربي التي بها يطابق مقتضى الحال".[1]

إن علم المعاني إذن هو مجموعة الأمور والمسائل التي يقوم نظم الكلام العربي وترتيبه على أساسها، وهي مسائل وقضايا تقوم على النحو وترتد إلى قواعده وأصوله.

1- لا ترادف بين الجمل: بل لكل ترتيب دلالة خاصة، وفيه معنى ليس في الآخر، وإن أي تغيير يطرأ على التركيب بتقديم أو تأخير، أو حذف أو ذكر، أو تأكيد، أو تركه ...الخ، يؤدي إلى تغيير في معناه. فليست الجمل التالية –على سبيل التمثيل- متساوية في المعنى.

- زيد حاضر.
- إن زيدا حاضر.
- إن زيد لحاضر.

[1]- الإيضاح القزويني، ص84.

إن في كل منها صورة المعنى وهو (حضور زيد)، ولكن في الثانية زيدت لفظ (إنَّ) فأضافت معنى زيدا وهو التأكيد، ودخل على الثالثة مؤكدان هما (إنّ، اللام) فصار المعنى أكثر تأكيدا.

إن هذه الفروق بين التراكيب المختلفة هي التي تدرس في علم المعاني، فيعرف الدارس المعنى الذي يؤديه كل تركيب على نحو دقيق، ويكون على وعي بدلالة الأساليب المختلفة التي يستعملها البلغاء.

وبذلك تكون وظيفة علم المعاني –كما هو ظاهر من اسمه– تفسير أسرار اللغة، وبيان مواطن الجمال والحسن فيها.

مباحث علم المعاني: [1]

لعلم المعاني أربعة مباحث نذكرها باختصار وهي:

أ– الإسناد (أنواعه وحالاته): لكل جملة ركنان هما:

1– المسند إليه: هو المحكوم عليه، أو المخبر عنه، أو صاحب الأمر المتحدث عنه، وهو المبتدأ أو ما قام مقامه في الجملة الاسمية، والفاعل وما قام مقامه في الجملة الفعلية.

2– المسند: هو المحكوم به، أو المخبر به، أو هو الأمر المعطى إلى المسند إليه، وهو الخبر أو ما قام مقامه في الجملة الاسمية، والفعل وما ماق قام مقامه في الجملة الفعلية.

وما عدا هذين الركنين يسمى (قيدا)، والصلة بينمها وربط أحدهما بالآخر يسمى (الإسناد). فقوله تعالى في الجملة الاسمية: ﴿إن الله على كل شيء قدير﴾ (البقرة/20).

الله: مسند إليه، مبتدأ فهو صاحب الأمر، المحكوم له بالقدرة.

قدير: مسند، خبر، إذ هو الأمر، أو الحكم المعطى للمسند إليه.

[1]– وليد ابراهيم قصاب: سلسلة البلاغة العربية علم المعاني، المرجع السابق، ص23-37.

وما سوى ذلك في هذه الجملة فهو قيد.

وقوله تعالى في الجملة الفعلية: ﴿قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها﴾ (المجادلة/01).

هاتاه جملتان فعليتان، في كل منهما مسند ومسند إليه.

الجملة الأولى: ((سمع الله)): المسند هو الفعل (سمع)، والمسند إليه (الله).

والجملة الثانيـة: ((تجادلك)): المسند هو الفعل (تجادل)، والمسند إليه هو الفاعل الضمير المستتر العائد على (التي) وما عدا ذلك في الجملة فهو قيد، كالمفعول به والحروف وغيرها...

إن الربط بين أحدهما والآخر –يخضع في العادة لقواعد النحو– من أجل أن يفيد هذا الربط معنى ثبوت أحدهما للآخر، أو نفيه عنه، هو (الإسناد).

فالجملة –عادة– على نوعين، هما الخبر والإنشاء:

أولا: الكلام الخبري: الخبر يفيد حصول أمر أو عدم حصوله، إنه كلام يقدم دعوى تحتمل الصدق أو الكـذب، إسـنادا إلى واقـع –قرينـة خارجيـة– تؤيـدها أو تنقضـها. إذن كـلام يحتمـل الصـدق أو الكذب بحسب القرينة أو الواقع.

وهو –بحسب هذا الواقع– نوعان:

1– خبر صادق: هو ما أيده الواقع، ودل على صحته.

2– خبر كاذب: هو ما خلف الواقع، ونقضته القرينة.

فالأخبار التالية: قوله تعالى: ﴿وأن تصوموا خير لكم﴾ (البقرة/184).

وقوله تعالى: ﴿لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم﴾ (النساء/148).

وقول الشاعر: ألا كل شيء ما خلا الله باطل

وقول الشاعر: إن المنايا لا تطيش بسهامها

وقولنا: ((لا إله إلا الله تدخل الجنة)).

كلها أخبار صادقة، لأن القرائن الحسية، أو العقلية، المنطقية، تؤيدها، وتدل على صدقها.

ولكن الأخبار التالية:

- اليوم ست وعشرون ساعة.
- ينجح الكسول، ويرسب المجتهد.
- يدخل الكافر ا لجنة.

كلها أخبار كاذبة، لأنها تضمنت دعاوى تخالف الواقع، وتخرج على القرائن الحسية أو العقلية.

أنواع الخبر بحسب المخاطب:

1- الابتدائي: هو ما خلا من المؤكدات، كقوله تعالى: ﴿الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب﴾ (الكهف/01).

وقوله صلى الله عليه وسلم: ((المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا)).

وقول النابغة الجعدي: ولا خير في حلم إذا لم تكن له **** بوادر تحمي صفواه أن يكدرا

فهذه كلها أخبار خلت من أي نوع من أنواع المؤكدات، فهي ابتدائية.

ويخاطب بالخبر الابتدائي من كان خالي الذهن من الأمر، غير متردد في قبوله، أو متشكك فيه، مما يجعله غير محتاج من المتكلم إلى تأكيد يدفع عنه هذا الشك.

2- الخبر الطلبي: هو الخبر الذي أكد بمؤكد واحد، كما في قوله تعالى: ﴿ولآمة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم﴾ (البقرة/221).

وقوله تعالى: ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى﴾ (النحل/90).

وقوله تعالى: ﴿لله الأمر من قبل ومن بعد﴾ (الروم/4).

فالأول مؤكد بلام الابتداء، والثاني بـ (إنّ)، والثالث بتقديم الخبر على المبتدأ.

ويخاطب بالخبر الطلبي من كان مترددا في قبول ما يلقي إليه، شاعا فيه، مما يجعله تتطلب شيئا من التأكيد لدفع التردد، فيلقى إليه الخبر مؤكدا بمؤكد واحد.

3- الخبر الإنكاري: هو ما كان مؤكدا بأكثر من مؤكد واحد، كما في قوله تعالى: ﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾ (القلم/4).

وقوله تعالى: ﴿وتالله لأكيدن أصنامكم﴾ (الأنبياء/57).

وقوله تعالى: ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة﴾ (الأحزاب/21).

أكـد الخبر الأول بـ (إنّ) و (الـلام) المؤكـدة (المزحلقـة) وأكـد الثـاني بالقسـم، والـلام، ونـون التوكيد، وأكد الثالث باللام و (قد).

ويخاطب بالخبر الإنكاري من كان جاحدا للأمر، ومنكرا له والإنكار أشد من الشك والتردد، ولذلك يؤكد للمنكر الكلام بأكثر من مؤكد واحد.

وما ينطبق على الخبر المثبت ينطبق على الخبر المنفي كذلك، كقولك:

- ليس زيدٌ حاضراً.
- ليس زيدٌ بحاضرٍ.
- والله ما زيدٌ بحاضرٍ.

وقـد يخـرج الخـبر علـى خـلاف مقتضـى الظـاهر، فيخاطـب بخـبر ابتـدائي مـن كـان مـترددا أو منكرا، ويخاطب بخر الإنكاري من كان خالي الذهن غير منكر ولا جاحد، وذلك لسبب من الأسباب:

انظر في قوله تعالى: ﴿ثم إنكم بعد ذلك لميتون﴾ (المؤمنون/15).

هـذا خبر إنكـاري، ويخاطب به –على حسب الظاهر- منكر للأمر، مكذب به، ولكن لا أحد ينكر الموت، أو يشك فيه، ولكن لما كانت حال كثير من الناس في الإقبال على الدنيا،

والافتتان بها، والعمل لها وحدها، تشبه حال المنكر للموت، أو المنشغل عنه، عوملوا معالمة المنكر، فخوطبوا خطابه.

أغراض الخبر: أغراض الخبر نوعان هما:

عادية: أن يكون القصد من الخبر إعطاء المتلقي معلومة لم يكن يعلمها، كأن تقول له:

- تولى عثمان بن عفان الخلافة بعد عمر.
- استولى اليهود على فلسطين عام 1948م.

وعلى نحو ما في الآيتين:

قوله تعالى: ﴿يوصيكم الله في أولادكم للذكر مقل حظ الأنثيين﴾ (النساء/11).

وقوله تعالى: ﴿الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسرح بإحسان﴾ (البقرة/229).

ويصطلح على تسمية هذا الغرض فائدة الخبر فالمتكلم يفيد المخاطب أمرا من الأمور.

ب– وثاني الأغراض العادية للخبر أن يخبر المتكلم المخاطب أنه عالة بحالته، أو بشأن من شؤونه، كالتوبيخ، أو التعريض، أو المباهاة، أو ما شاكل ذلك.

كقول النبي صلى الله عليه وسلم للأنصار: ((أنكم لتقِلُّون عند الطمع، وتكثرون عند الفزع)). في مواطن المباهاة بضيعهم وتقديرهم.

وقول الشاعر: وتغتابني في كل ناد تحله **** وتزعم أني لست كفؤا لمثلكا

فالخبر في هذه الأمثلة لا يقدم للمخاطب معلومة محمولة عنده، بل يقدم له معلومة يعرفها مطلع عليها.

ويصطلح على تسمية غرض الخبر باسم "لازم فائدة الخبر" لأن إبلاغ المخاطب معرفتك أمرا من أموره يلزم منه أمر ما.

بلاغية: إن الخبر –ولا سيما في الاستعمال الأدبي– يتجاوز ف دلالاته هذين الغرضين إلى ما هو أعمق وأبعد، فيخرج إلى أغراض بلاغية، لا تتجرد عن الغرضين السابقين، ولكنها تضم معاني أخرى، لها أغراض كثيرة، تفهم –في العادة– من سياق الكلام، ومن أبرز هذه الأغراض:

أ– المديح: كقول المتنبي في سيف الدولة: ليس إلا كايا علي همام **** سيفه دون عرضه مسلول

إن المتنبي يخبر أنه لاحد همام بطل إلا سيف الدولة، ويخبر كذلك أنه مجاهد شهم، لا ينام على ضيم، وهو سيل سيفه للدفاع عن عرضه.

إن هذه الأخبار ليس القصد منها مجرد إعطاء معلومة أو فائدة للمخاطب، بل تطوي غرضا بلاغيا أبعد من ذلك، وهو الثناء على المتحدث عنه، ومدحه، وإعلاء شأنه.

ب– إظهار التحسر والتأسف: كقوله تعالى: ﴿ربي إني وضعتها أنثى﴾ (ءال عمران/36).

فهذا خبر قصدت منه أم مريم إظهار حسرتها، لأنها رزقت أنثى، وكانت تود ذكرا.

ومن ذلك قول لبيد: ذهب الذين يعاش في أكنافهم **** وبقيت في خلف كجلد الأجرب

ج– الأمر: قد يخرج الخبر إلى غرض الأمر، كما في قوله تعالى: ﴿والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين﴾ (البقرة/233).

وقوله تعالى: ﴿والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء﴾ (البقرة/228).

الكلام في هاتين الآيتين خبر من حيث اللفظ، ولكنه خرج إلى غرض الأمر، أمر الوالدات بالإرضاع، والمطلقات بالتربص، أي ليرضعن، وليتربصن..

د– النهـي: كما في قوله تعالى: ﴿لا يمسه إلا المطهرون﴾ (الواقعة/79)، معناه: لا تمسوه إلا مطهَّرين.

هـ– الدعاء: كما في قوله تعالى: ﴿تبت يدا أبي لهب وتب﴾ (المسد/01).

وقوله تعالى: ﴿غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا﴾ (المائدة/64).

ومنه قولنا: – ما فلان رحمه الله.

– لا نامت أعين الجبناء.

و– التعجب: كما في قوله تعالى: ﴿كبرت كلمة تخرج من أفواههم﴾ (الكهف/05).

ز– الوعظ والإرشاد: كقوله تعالى: ﴿كل نفس ذائقة الموت﴾ (آل عمران/185).

ح– الفخر: كقول عبد الله بن رواحة: نحن الذين بايعوا محمدا **** على الجهاد ما بقينا أبدا

وقول المتنبي: أنا الذي نظر الأعمى إلى أدبي **** وأسمعت كلماتي من به صمـم

أنام ملء جفوني عن شـواردها **** ويسهر الخلـق جراها ويختصم

ط– التحذير: كقول النبي –عليه السلام–: ((أبغض الحلال إلى الله الطلاق)).

ص– التوبيخ: كقولك لتارك الصلاة "الصلاة عماد الدين".

هذه بعض أغراض الخبر، وهي لا معايير لها، بل تفهم من سياق الكلام، ودلالات المعاني.

أبرز مؤكدات الخبر:

للخبر مؤكدات كثيرة منها:

1– إنّ المكسورة: كما في قوله تعالى: ﴿إن وعد الله حق﴾ (فاطر/05).

2– أنّ المفتوحة: كما في قوله تعالى: ﴿قل إنما يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد﴾ (الأنبياء/108).

فائدة: ولم يعدها بعضهم من المؤكدات لأنها مصدرية، وما بعدها في حكم المفرد..

3– لام الابتداء: كقوله تعالى: ﴿لأنتم أشد رهبة في صدورهم من الله﴾ (الحشر/13).

4– ضمير الفصل: كقوله تعالى: ﴿إنك أنت العزيز الحكيم﴾ (البقرة/221).

5– أما الشرطية: كقوله تعالى: ﴿وأما اليتيم فلا تقهر وأما السائل فلا تنهر وأما بنعمة ربك فحدث﴾ (الضحى/9-11).

6- قـد: عنـدما يـأتي بعـدها فعـل مـاض، كمـا في قولـه تعـالى: ﴿قـد سمـع الله قـول الـتي تجادلـك في زوجها﴾ (المجادلة/01).

7- نون التوكيد: كقوله تعالى: ﴿لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف﴾ (الأعراف/124).

8- حـــروف التنبيـــه: مثـــل: أمـــا، ألا، كقولـــه تعـــالى: ﴿ألا لـــه الحكـــم وهـــو أســـرع الحاسبين﴾ (الأنعام/62).

9- حروف الجر الزائدة: كقوله تعالى: ﴿وما أنت بمسع من في القبور﴾ (فاطر/22).

وقوله تعالى: ﴿ما جاءنا من بشير ولا نذير﴾ (المائدة/19).

10- القسم: كقوله تعالى: ﴿وتالله لأكيدن أصنامكم﴾ (الأنبياء/57).

11- تقديم ما حقه التأخير: كقوله تعالى: ﴿لله الأمر من قبل ومن بعد﴾ (الروم/04).

ثانيا: الكلام الإنشائي. [1]

1- تعريفه: هو كل كلام لا يمكن الحكم عليه بالصدق أو الكذب، لأنه لا يخر بأمر، بل يطلب به إنشاء أمر لم يكن حاصلا وقت الكلام، وهو نوعان:

2- أنواعه:

- **إنشاء غير طلبي:** وهو الكلام الذي لا يستدعي مطلوبا غير حاصل، أي لا يطلب به إنشاء أمـر، بـل هـو تعبـير عـن حالـة نفسـية ولـه صـيغ كثـيرة منهـا: أفعـالي المـدح والـذم، والقسـم، والتعجب، والرجاء، ونحوها، وهذه أمثلة على ذلك:

كقوله تعالى: ﴿نعم الثواب وحسنت مرتفقا﴾ (الكهف/31).

وقوله تعالى: ﴿بئس للظالمين بدلا﴾ (الكهف/51).

وقولنا: بعتك هذه السيارة، واشتريت منك الدار.

[1]- وليد ابراهيم قصاب: سلسلة البلاغة العربية علم المعاني، المرجع السابق، ص41-48.

وهذه الصيغ لا يبحث فيها علماء البلاغة، ولا أهمية لها في علم المعاني، لأن أكثر هذه الصيغ هي في أصلها أخبار.

- **الإنشاء الطلبي**: هو الأساس في علم المعاني، وهو المقابل للكلام الخبري، إذ كل ما ليس إنشاء فهو خبر، وهو المقصود أنه الكلام الذي لا يقترن بصدق ولا كذب، والذي يستدعي عند النطق به شيئا لم يكن حاصلا.

أنواع الإنشاء الطلبي: الإنشاء الطلبي خمسة أنواع منها:

الأمر – النهي، – الاستفهام، – التمني، – النداء.

1/– الأمر:

هو ما يطلب به فعل شيء، وهو يصدر من الأعلى إلى الأدنى، فالأمر حتى تكون حقيقيا له شرطان:

- أن يطلب به إنشاء أمر لم يكن حاصلا وقت الكلام.
- أن يصدر من الأعلى إلى الأدنى.

صيغ الأمر: يتم الأمر بأربع صيغ هي:

فعل الأمر: كما في قوله تعالى: ﴿وأقيموا الصلواة وءاتوا الزكواة﴾ (البقرة/110).

لام الأمر: كقوله تعالى: ﴿لينفق دو سعة من سعته﴾ (الطلاق/07).

المصـدر النائـب عـن فعلـه: كقولـه تعـالى: ﴿وبالوالـدين إحسـانا﴾ (الإسـراء/23)، أي أحسـنوا بالوالدين إحسانا، فإحسانا مصدر نائب عن الفعل المحذوف.

قال الرسول عليه السلام: ((رفقا بالقوارير)).

قال قطري بن الفجاءة: فصبرا في مجال الموت صبرا **** فما نيل الخلود بمستطاع

اسم فعل الأمر: وقد ورد منه "صه" أي: اسكت، و"مه" أي: اكفف، و"رويد" أي: أمهل، و"إيه" أي: امض في حديثك، و"حي" أي: أقبل، و"هلم" أي: أقبل، و"آمين" أي: استجب، و"بله" الأمر: أي دعه، و"ها"[1] بمعنى خذ وتناول..

وأسماء قياسية على وزن (فَعَالِ) من كل فعل ثلاثي، مجرد، تام، متصرف، مثل: قَتَالِ، و ضَرابِ، وحذار، ونزال.

ومن الشواهد على ذلك: قوله تعالى: ﴿قل هلم شهداءكم﴾ (الأنعام/150).

وقوله تعالى: ﴿والقائلين لإخوانهم هلم إلينا﴾ (الأحزاب/18).

الأولى بمعنى: أحضروا أو هاتوا، والثانية بمعنى: أقبلوا.

وقول ابن زيدون: غيظ العدا من تساقينا الهوى فدعوا **** بأن نغض فقال الدهر: آمينا

خروج الأمر إلى أغراض بلاغية:

للأمر حتى يكون حقيقيا شرطان هما: طلب تحقيق الأمر، والصدور من الأعلى إلى الأدنى، وإذا لم تستوفهما فإنه قد يخرج إلى أغراض بلاغية، أي استعمل مجازا لمعان أخر، وتفهم من السياق، وترشد إليها دلالات الكلام ومنها:

1- الـــدعاء: يكـــون الخطـــاب مـــن الأدنى إلى الأعلـــى، كمخاطبـــة الإنســـان ربـــه، كقوله تعالى: ﴿رب اغفر لي ولوالدي﴾ (نوح/28).

وقول المتنبي يخاطب سيف الدولة:

أزل حسد الحساد عني بكبتهم *** فأنت الذي صيرتهم ليَّ حُسَّدا

2- الالتماس: هو صيغة أمر في مخاطبة مساو للمتكلم في الرتبة، كقولك لزميلك: ناولني القلم.

وقول ابن زيدون مخاطبا ولادة: دومي على العهد ما دمنا محافظة **** فالحر من دان إنصافا كما دينا

[1]- يقال الواحد: ها يا رجل اقرأ، والاثنين: هاؤما اقرآ، والجمع: هاؤم اقرؤوا.

3– التحقير والتهوين: كقلوه تعالى: ﴿ألقوا ما أنتم ملقون﴾ (يونس/80، الشعراء/43).

4– التعجيز والتحدي: أي نسبة العجز إلى المخاطب عن فعل ما يطلب منه، وتحديه بذلك.

كقوله تعالى: ﴿وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله﴾ (البقرة/23).

5– التخيير: يكون في مقام يتوهم فيه المخاطب جواز الجمع يسن شيئين أو أكثر.

كقول بشار بن برد: فعش واحدا، أو صل أخاك فإنه **** مقارف ذنب مرة ومجانبه

6– التهكم أو السخرية: كقوله تعالى: ﴿ذق إنك أنت العزيز الحكيم﴾ (الدخان/49).

هذه صيغة أمر قصد بها السخرية به، والهزء منه، إذ كيف يذوق العذاب لو كان عزيزا حكيما؟.

7– التعجب: كقوله تعالى: ﴿انظر كيف ضربوا لك الأمثال﴾ (الإسراء/48).

8– الاعتبار والاتعاظ: كقوله تعالى: ﴿قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق﴾ (العنكبوت/20).

9– التسوية: هي صيغة توحي بأن الأمرين المراد فعلهما سواء، في مقام يتوهم المخاطب أن أحدهما أرجح من الآخر، فيصحح له هذا الوهم.

كقولك لشخص: – صدق أو لا تصدق.

– ادرس أو لا تدرس.

وقوله تعالى: ﴿اصلوها فاصبروا أو لا تصبروا سواء عليكم﴾ (الطور/16).

10– التعليم والإرشاد: ويكون فيه مقام النصح والتوجيه.

كقوله تعالى: ﴿خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين﴾ (الأعراف/199).

وقول الرسوع عليه السلام: ((اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن)).

وقول أبو العتاهية: اخفض جناحك إن منحت إمارة **** وارغب بنفسك عن ردى اللذات

2/– النهي:

هـو طلـب الكـف عـن فعـل علـى سبيل الاستعلاء، فهـو عكـس الأمـر، وحـتى يكـون النهـي حقيقيا له –فالأمر– شرطان:

- أن يطلب به ترك شيء.
- أن يصدر من الأعلى إلى الأدنى.

صيغته: للنهي صيغة واحدة وهي "لا الناهية".

كقوله تعالى: ﴿ولا تدع مع الله إلها ءاخر﴾ (القصص/88).

وقوله تعالى: ﴿فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما﴾ (الإسراء/23).

خروج النهي إلا أغراض بلاغية:

إذا اختل أحد الشرطين السابقين يكون النهي قد خرج إلى أغراض بلاغية، أي استعمل مجازا في معان أخرى، تفهم من السياق، ويستدل عليها بقرائن الكلام، وتلتقي مع كثير من أغراض الأمر، وأبرزها:

1– الـدعاء: هـو صـدور صـيغة النهـي مـن الأدنى إلى الأعلـى، كقـول الإنسـان في مخاطبـة الله تعالى: ﴿ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هدتنا﴾ (آل عمران/08).

2– الالتماس: هو خطاب لمن كان مساويا للمتكلم في الرتبة.

كقولك لزميل لك: لا تضع الكتاب على المقعد، ولا تترك القم في الدرج.

وقول الشاعر: لا تنهياه عن البكاء فإنه * * * * يطفي لهيب الجروح في الأعماق

3– التحقير: كقوله تعالى: ﴿لا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم﴾ (الحجر/88)، أي هو حقير قليل لا شأن له.

ومنه قول الحطيئة: دع المكارم لا ترحل لبغيتها * * * * واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي

خرج الأمر والنهي في هذا البيت إلى غرض التحقير والاستصغار، كأنه يقول له: اقعد ولا ترحل في طلب المعالي، فما أنت له بأهل، فهو لا ينهاه أو يأمره على الحقيقة، بل يهون من شأنه.

4- التمني: وذلك في مخاطبة ما لا يعقل بصيغة النهي، كقول الخنساء مخاطبة عينيها:

أعينيَّ جودا ولا تجمدا * * * * ألا تبكيان لصخر الندى

5- الإرشاد والتعليم: وذلك في أقوال الحكم والنصيحة، كقوله تعالى: ﴿يأيها الذين ءامنوا لا تسئلوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم﴾ (المائدة/101).

وقول أبي العلاء: ولا تجلس إلى أهل الدنايا * * * * فإن خلائق السفهاء تعري

6- التوبيخ: كقول أبي الأسود الدولي: لا تنه عن خلق وتأتي مثله *** عار عليك إذا فعلت عظيم

3/- **الاستفهام**:

هو طلب فهم أمر لم يكن معلوما لدى السائل.

أدواته: أدوات الاستفهام كثيرة، منها حروف، ومنها أسماء.

الحروف فهي اثنان: الهمزة، وهل.

1- الهمـزة: هـي أصـل أدوات الاسـتفهام وأوسـعها اسـتعمالا، تسـتعمل في معنيـين همـا: التصـديق والتصور.

أ- التصديق: وهو ما يكون الجواب عنه بالإثبات أو النفي، كقولنا: - أعندك علم بهذا؟ فالجواب (نعـم) أو (لا). – ألم تحضـر الـدرس؟ الجـواب (بلـى) أو (نعـم)؛ إذ تسـتعمل (بلـى) هنـا للإثبـات، و(نعم) للنفي.

ب- التصور: هو تعيين أمر من جملة أمور وتحديده، أكتابا قرأت أم مجلة؟ لا بد من تعيين أحدهما: الكتاب أو المجلة.

وقوله تعالى: ﴿قالوا ءانت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم﴾ (الأنبياء/62).

سؤال عن الفاعل، وتقدير به، والفعل عندهم معلوم.

وقولك في أمثال هذه التعبيرات:

- أأنت جئت ماشيا؟ سؤال عن الفاعل.
- أجئت ماشيا؟ سؤال عن الفعل.
- أزيدا قابلت؟ سؤال عن المفعول.

ويأتي مع الهمزة –عندما تكون للتصور– (أم) المتصلة[1]، لأن ما قبل (أم) وما بعدها لا يستغنى بأحدهما عن الآخر، وتسمى أيضا أم المعادلة، كما في قولنا: أعمرُو في الدار أم زيدٌ؟

ومنه قوله تعالى: ﴿ءانتم أشد خلقا أم السماء بناها﴾ (النازعات/27).

كما في قوله تعالى: ﴿أذالك خير أم شجرة الزقوم﴾ (الصافات/62).

ويلاحظ أن الهمزة و(أم) يغنيان عن (أيّ) الاستفهامية في طلب التعيين، فقولنا: أخالد نجح أم عبد الله؟ أي: أيهما نجح؟

ويجوز حذف الهمزة إن دل عليها دليل، كقول الكميت:

طربت وما شوقا إلى البيض أطرب **** ولا لعبا مني، وذو الشيب يلعب؟ أي: أذو الشيب يلعب؟.

ويجوز دخول الهمزة على الإثبات والنفي، كقولك في الإثبات: أبلغك ما حصل؟، وفي النفي كقوله تعالى: ﴿ألم نشرح لك صدرك﴾ (الشرح/01).

2– هل: وهي أضيق من الهمزة في الاستعمال؛ فهي للتصديق فقط، ولا تستعمل في التصور، كما في قولك: هل حضرت الاجتماع؟ فالجواب هنا بـ (نعم) أو (لا).

وهي تخص المضارع بالاستقبال، كقولك: هل تسافر؟ أي في المستقبل، بخلاف الهمزة[1]؛ فإنها تكون للاستقبال والحال، فنقول: أتسافر غدا؟ و أتسافر الآن؟.

---

[1]– هنالك أيضا (أم) المنقطعة، وهي تقع بين جملتين مستقلتين في معناهما، وقصد الإضراب عن الكلام الأول والانتقال إلى الثاني، ومعناها (بل) أو (بل الهمزة).

وتخـرج (هـل) إلى معـنى النفـي، كقولـه تعـالى: ﴿فهـل يهلـك إلا القـوم الفاسـقون﴾ (الأحقاف/35).

وقول الشاعر: هل العيش إلا لحظة وتنقضي، فمعنى (هل) في هذه الأمثلة هو (ما) ولذلك جاءت بعدها إلا.

أسماء الاستفهام: تستعمل أسماء الاستفهام كله للتصور، أي للتعيين، وهذه الأسماء هي:

1- مـن: يطلـب بهـا تعيـين العقـلاء، كقولـه تعـالى: ﴿مـن بعثنـا مـن مرقـدنا هـذا﴾ (يـس/52)، وقوله تعالى: ﴿فمن ربكما يا موسى﴾ (طه/49).

وقـد تخـرج (مـن) إلى معـنى النفـي، كقولـه تعـالى: ﴿ومـن يغفـر الـذنوب إلا الله﴾ (آل عمران/135)، أي: لا يغفر الذنوب إلا الله.

2- ما: سأل بها عن ذات ما لا يعقل[2]، وجنسه، وصفته، كما في: - ما ركبت؟ ركبت سيارة.
- ما لون ثوبك؟ أبيض، أو...
وقولـه تعـالى: ﴿ومـا تلـك بيمينـك يـا موسـى قـال هـي عصـاي﴾ (طـه/17-18)، وقوله تعالى: ﴿عمَّ يتساءلون﴾ (النبأ/01).

3- كـم: يسـتفهم بهـا عنـد العـدد، كقولـه تعـالى: ﴿كـم لبثـتم في الأرض عـدد سـنين﴾ (المؤمنون/112)، - كم درهما معك؟

4- كيف: يطلب بها تعيين الحال، أي الهيئة، أو الشكل، كقوله تعالى: ﴿ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل﴾ (الفيل/01)، وقوله تعالى: ﴿ما لكم كيف تحكمون﴾ (الصافات/154).

5- أين: يطلب بها تعيين المكان: كقوله تعالى: ﴿فأين يذهبون﴾ (التكوير/26).

---

(1)- هنالك فروق أخرى بين (هل) و(الهمزة)، انظرها -على سبيل المثال- في مغني اللبيب: 457-460.

(2)- تختص (ما) الاستفهامية ببعض الأحكام: تحذف ألفها إذا جرت، كقوله تعالى: ﴿فيم أنت من ذكراها﴾ (النازعات/43)، وتدخل عليها (ذا) وهي إما اسم موصول، أو اسم إشارة، فتصبح (ماذا) كقوله تعالى: ﴿ويسئلونك ماذا ينفقون قل العفو﴾ (البقرة/219)، وقال بعضهم إن (ماذا) كلمة واحدة (المغني: 396).

وقوله تعالى: ﴿أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون﴾ (الأنعام/22).

6- أنّى: وتأتي بمعنى كيف، كقوله تعالى: ﴿قال أنى يحي هذه الله بعد موتها﴾ (البقرة/259).

وتأتي (أنّى) بمعنى (من أين)، كقوله تعالى: ﴿قال يا مريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله﴾ (آ ل عمران/37).

وتأتي (أنّى) بمعنى (متى)، كقولك نحو: زرني أنّى شئت؟، وقوله تعالى: ﴿نسائكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئم﴾ (البقرة/223).

7- متى: يطلب بها تعيين الزمان في جميع أحواله: ماضيا، وحاضرا، ومستقبلا، كما في الآيات:

قوله تعالى: ﴿ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين﴾ (يونس/48، الأنبياء/38، النمل/81)، وقوله تعالى: ﴿ويقولون متى هذا الفتح إن كنتم صادقين﴾ (السجدة/28).

8- أيان: ويستفهم بها عن الزمان المستقبل خاصة، وتفيد التهويل، كقوله تعالى: ﴿يسئلون أيان يوم الدين﴾ (الذاريات/12)، وقوله تعالى: ﴿يسئل أيان يوم القيامة﴾ (القيامة/06).

9- أيّ: يطلب بها تعيين أحد المتشاركين في أمر يعمهما، ويسأل بها عن جميع الحالات السابقة، العاقل، وغير العاقل، والزمان، والمكان، والحال، والعدد. ويتحدد معناها بحسب ما تضاف إليه، كما في الأمثلة التالية:

- أي رجل زارك؟ بمعنى (من) العاقل.
- أي كتاب قرأت؟ بمعنى (ما) لغير العاقل.
- أي يوم صمت؟ للزمان.
- أي بلد زرت؟ للمكان.
- أي مبلغ دفع أخوك؟ بمعنى (كم) للعدد.

بعض الأمثلة القرآنية:

- قوله تعالى: ﴿فبأي حديث بعده يؤمنون﴾ (الأعراف/185).

- وقوله تعالى: ﴿أي الفريقين خير مقاما﴾ (مريم/73).

خروج الاستفهام إلى أغراض بلاغية: [1]

الاستفهام الحقيقي له شرطان:

- أن يحتاج إلى جواب.
- أن يطلب به فهم أمر أو الاستخبار عن مسألة، فإذا لم يتحقق الاستفهام بهاذين الشرطين فإنه يخرج إلى أغراض بلاغية، أي يستعمل مجازا في معان أخرى. ومن أبرز هذه المعاني:

1- الأمر: كقوله تعالى: ﴿فهل أنتم مسلمون﴾ (هود/14، الأنبياء/108).

فهذه وإن كانت بصيغة استفهام بهل -لا تحتاج إلى جواب، ولم تسق للاستعلام، بل هي بمعنى الأمر، أي: أسلموا.

وقوله تعالى: ﴿فهل أنتم منتهون﴾ (المائدة/91)، أي: انتهوا.

2- النفي: كقوله تعالى: ﴿فهل ترى لهم من باقية﴾ (الحاقة/08)، أي: ما ترى لهم من باقية، ومثلها: ﴿هل جزاء الإحسان إلا الإحسان﴾ (الرحمن/60).

3- التقرير: معناه حمل المخاطب على الإقرار والاعتراف بأمر قد استقر عنده ثبوته أو نفيه.

كقوله تعالى: ﴿أبيس الله بكاف عبده﴾ (الزمر/36)، فهذا تقرير إيجاب، ومعناه: الله كاف عبده، ولا بد أن يقر به المخاطب إثباتا فيقول: بلى.

وقوله تعالى: ﴿ألم نشرح لك صدرك﴾ (الشرح/01)، معناه: شرحنا لك صدرك.

4- الإنكار: ويسمى بالتكذيب كذلك، وهو نوعان[2]:

---

[1]- وليد ابراهيم قصاب: سلسلة البلاغة العربية علم المعاني، المرجع السابق، ص54-72.

[2]- الكلام عليهما في عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح للبهاء السبكي، 229/2، (ضمن شروح التلخيص).

أ- **إنكار الإبطالي**[1]: أي التكذيب، ومعناه أن ما بعدها (أي الهمزة) غير واقع، وأن مدعيه كـاذب، كقولـه تعـالى: ﴿فاسـتفتهم إلربـك البنـات ولهـم البنـون﴾ (الصـافات/149)، وقوله تعالى: ﴿أفسحر هذا أم أنتم لا تبصرون﴾ (الطور/15).

ب- **الإنكار التوبيخي**: هو يقتضي أن ما بعد واقع، ولكنه قبيح، وما كان ينبغي أن يكون، وفاعله ملوم عليه، كقوله تعالى: ﴿أكفرت بالذي خلقك من تراب﴾ (الكهف/37)، وقوله تعالى: ﴿أغير الله تدعون﴾ (الأنعام/40).

5- التعجب: كما في قوله تعالى: ﴿ألت تر إلى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا﴾ (الفرقان/45)، وقوله تعالى: ﴿ألم تر إلى الذين تولوا قوما غضب الله عليهم﴾ (المجادلة/14).

يحتمل الاستفهام هاهنا كذلك معنى التوبيخ ومعنى التعجب.

6- التحقير: كقوله تعالى: ﴿أهذا الذي يعث الله رسولا﴾ (الفرقان/44).

7- التمني: كما في قوله تعالى: ﴿فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا﴾ (الأعراف/53).

8- التبكيـــت: هـــو التقريـــع والتوســـيخ علـــى فعـــل وقـــع، وكـــان الأولى ألا يقـــع، كقولـــه تعـــالى: ﴿ألم تكـــن أرض الله واســـعة فتهـــاجروا فيهـــا﴾ (النســـاء/97)، وقوله تعالى: ﴿ما سلككم في سقر﴾ (المدثر/42).

9- الوعيد: كقوله تعالى: ﴿ألم نهلك الأولين﴾ (المرسلات/16).

4/- التمني: [2]

تعريفـه: هـو طلـب أمـر محبـوب، ولا يشـترط حصـول المتمـنّى ولا وقوعـه، بخـلاف المترجـي، لكونـه مستحيلا، كما في قوله تعالى: ﴿ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا﴾ (النبأ/40).

---

[1]- يأتي الإنكار الإبطالي في القرآن الكريم في سياق دحض افتراءات المشركين والرد على مزاعمهم وتكذيبهم.

[2]- وليد ابراهيم قصاب: سلسلة البلاغة العربية علم المعاني، المرجع السابق، ص80-90.

أو بكونه بعيد الحصول، صعب المنال، كما في قوله تعالى: ﴿يا ليت لنا مقل ما أوتي قارون﴾ (القصص/79).

صيغه: أداة التمني الأصلية هي (ليت) الحرف الناسخ، ولكن هناك أدوات أخرى تخرج من معانيها الحقيقية إلى معنى التمني، وهذه الأدوات هي:

1- هل: قد تخرج (هل) من معنى الاستفهام إلى معنى التمني، كقول القائل: هي يعود إلي سبابي؟، وقول من طال غيابه عن وطنه وانقطع أمله في العودة: هل أعود إلى وطني؟

2- لو: وهي حرف شرط غير جازم، تفيد امتناع الجواب لامتناع الشرط، ولكنها تخرج إلى معنى التمني، فتكتفي عندئذ بفعل واحد، كما في قوله تعالى: ﴿لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرأوا منا﴾ (البقرة/167)، (لو) هنا بمعنى (ليت) لأنها دخلت على ما يستحيل وقوعه، وجاءت بعدها فاء السببية، فانتصب الفعل معها بأنّ مضمرة.

3- لعل: وهي في الأصل حرف ناسخ يفيد معنى الترجي، وهو طلب محبوب ممكن ميسور، ولكنها تخرج عن بابها إذا طلب بها محبوب مستحيل حصوله أو بعيد، فتكون للتمني، كما في قوله تعالى: ﴿لعلي أبلغ الأسباب أسباب السماوات فأطلع إلى إله موسى﴾ (غافر/36-37).

فهذا فرعون يطلب مستحيلا، وهو بلوغ أسباب السماوات حتى يطلع إلى إله موسى، جهلا منه وحمقا، وقد استعمل (لعل) بمعنى (ليت) فأعطيت حكمها فنصب الفعل في جوابها بأنْ المضمرة بعد فاء السببية، وعليه قول القائل: لعلي أرجع شابا كما كنت.

5/- النداء:

تعريفه: هو طلب المتكلم من المخاطب أن يقبل، بواسطة حرف ينوب منا بالفعل (أدعو) أو (أنادي) وكل جملة نداء تتكون من ثلاثة أشياء: لفظ النداء، والمنادى، والرسالة التي يراد إبلاغها، فقولنا: يا محمد أقبل، (يا) لفظ النداء، و(محمد) منادى، و(أقبل) الرسالة المراد إبلاغها للمنادى.

وقد تكون الرسالة غير مذكورة إذا كان يراد مجرد الإجابة، كقولنا: يا محمد، يا علي..، فهذا نداء يراد منه مجرد الإقبال أو الحضور.

أحرف النداء:

1- يا: وهي حرف موضوع لنداء البعيد حقيقة أو حكما، وقد ينادى بها القريب توكيدا، وهي أم الباب، وأكثر أحرف النداء استعمالا، تستعمل في نداء الاستغاثة، والتعجب، والندبة، ولا ينادى لفظ الجلالة إلا بها، ولد يرد في القرآن الكريم غيرها، ولا يقدر عند الحذف سواها. ومن أمثلتها:

قوله تعالى: ﴿قالوا يا نوح جادلتنا فأكثرت جدالنا﴾ (هود/32)، وقوله تعالى: ﴿يوسف أعرض عن هذا﴾ (يوسف/29).

وإذا ولي (يا) ما ليس بمنادى، كالفعل، أو الحرف، أو الجملة الاسمية، فقيل: هي للنداء والمنادى محذوف، وقيل: هي لمجرد التنبيه، كما في قوله تعالى: ﴿يا ليتني كنت معهم فأفوز فوزا عظيما﴾ (النساء/73).

2- الهمـزة: هي حرف لنداء القريب، وقيل: إن ذلك لخلوها من الصوت الممدود، كما في قول امرئ القيس: أفاطمَ مهلا بعض هذا التدلل * * * * وإن كنت قد أزمعت صرمي فأجملي

3- أيا: حرف لنداء البعيد، وقيل إنها لنداء القريب والبعيد، ومثاله قول الشاعر:

أيا جامع الدنيا لغير بلاغة * * * * لمن تجمع الدنيا وأنت تموت؟

وقد تبدل همزتها هاء، فيقال: هيا، كقول الشاعر:

فأصاخ يرجو أن يكون حيا * * * * ويقول من فرج: فيا ربَّا

4- أي: نادى بها لا قريب أو البعيد، وذهب بعضهم إلى أن للقريب دون البعيد، كقولك: - أي سمير درس جيدا.

وا: وهي حزن نداء مختص بباب الندبة، كقولك: - وا ولداه، وا معتصماه.

5– آ: بالمد، ذكرها بعضهم حرفا لنداء البعيد، نحو: – آمحمد، آعبد الله.

إنزال القريب منزلة البعيد:

- لبيان علو قدر المنادى، ورفعة شأنه، كقولك: – يا رب العالمين. – يا أرحم الراحمين، ومنه قول أبو نواس: يا رب، إن عظمت ذنوبي كثرة **** فلقد علمت بأن عفوك أعظم.
- للإشعار بأن المخاطب نائم أو ساه، أو غافل حقيقة، فهو كأنه غير حاضر. كقولك لحاضر: – يا علي نحن في حاجة إليك.
- كون الخطاب معتنى به، كقوله تعالى: ﴿يأيها الناس اعبدوا ربكم﴾ (البقرة/21).
- إظهار الحرص على إقبال المدعو، كقوله تعالى: ﴿يا موسى أقبل ولا تخف﴾ (القصص/31).

إنزال البعيد منزلة القريب:

وقد يحصل العكس فينزل البعيد منزلة القريب فينادى بأداة النداء للقريب، كالهمزة وأي، وذلك: لغرض الإشارة لقربه من النفس وحضوره في القلب، كقول: أبي الطيب وهو في الاعتقال:

أمالك رقي ومن شأنه * * * * هبات اللجين وعتق العبيد
دعوتك عند انقطاع الرجا * * * * والموت مني كحبل الوريد

ويصحب النداء في الأكثر الأمر أو النهي، مقدما عليه أو متأخر عنه، والأغلب تأخره، على نحو: قوله تعالى: ﴿يأيها المزمل قم الليل إلا قليلا﴾ (المزمل/1-2).

وقد يأتي مع النداء الجملة الخبرية فتعقبها جملة الأمر، كقوله تعالى: ﴿يأيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له﴾ (الحج/73).

وقد يأتي مع النداء جملة استفهامية، نحو: قوله تعالى: ﴿يأيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك﴾ (التحريم/01).

خروج النداء إلى أغراض بلاغية:

النداء الحقيقي هو طلب إقبال المنادى على المنادي، أو المدعو على الداعي، لكن النداء قد يجاوز ذلك إلى معان أخرى تفهم من سياق الكلام، ومن هذه المعاني:

1- الإغراء والحث: كقول المتنبي:

يـــا أعـــدل النـــاس إلا في معـــاملتي * * * * فيـك الخصـام وأنـت الخصـم والحكـم

2- الاختصاص: كما في قوله تعالى: ﴿رحمت الله وبركاته عليكم أهل البيت﴾ (هود/73).

والاختصاص قد يكون في مواطن الافتخار كقولك: - أنا أكرم الضيف أيها الرجل. فأيها الرجل يعود على الضمير (أنا) وذلك للتخصيص في مواطن الفخر. أو لإظهار التواضع والضعف. كقولك: - إنا أيتها العصابة-فقراء إلى الله. أي: إنا مختصين من بين الناس-فقراء إلى الله.

ولذلك قد يقوم هذا النداء مقام الاسم المنصوب على الاختصاص معرفا بأل، أو مضافا، فقولنا في نداء الاختصاص: - نحن – أيها العرب – نقري الضيف.

يقوم مقامه قولنا في الاختصاص: نحن – العرب – نقري الضيف.

أو: نحن – بني العرب – نقري الضيف.

3- الاستغاثة: كقولك: يا للطبيب للمريض، الطبيب مستغاث به، وهو في حكم المنادى، والمريض مستغاث له.

4- التحسر والتوجع:

كقول ابن الرومي: يا شبابي، وأين مني شبابي * * * * آذنتـــني حبـــا لـــه بانقضـــاب

5- الندبة: وتستعمل لها (وا)، كما في قول أبي الطيب:

واحـــر قلبـــاه ممـــن قلبـــه شـــبم * * * * ومـن بجسـمي وحـالي عنـده سـقم

6- التعجـــب: كمـــا في قولـــه تعـــالى: ﴿يـــا حســـرة علـــى العبـــاد﴾ (يـــس/30)، وقوله تعالى: ﴿قالوا يا حسرتنا على ما فرطنا﴾ (الأنعام/31).

فائدة: قال الزمخشري وغيره: "كرر في القرآن الكريم النداء بـ (يا أيها) دون غيره، لأن فيه أوجها من التأكيد، وأسبابا من المبالغة: منها ما في (يا) من التأكيد والتنبيه، وما في (ها) من التنبيه، وما في التدرج من الإبهام في (أي) التوضيح. والمقام يناسب المبالغة والتأكيد، لأن كل ما نادى الله تعالى عباده من أوامره ونواهيه وعظاته وزواجره ووعده ووعيده، ومن اقتصاص أخبار الأمم الماضية، وغير ذلك مما أنطق الله به كتابه، أمور عظام، وحظوات جسام، ومعان واجب عليهم أن يتيقظوا لها، ويميلوا بقلوبهم وبصائهم غليهم وهم غافلون، فاقتضى الحال أن ينادوا بالآكد الأبلغ".[1]

ب- أحوال الإسناد: [2]

يتعرض ركنا الإسناد، وهما المسند والمسند إليه، وكذلك متعلقات الفعل، من مفعول به، وحال، وشبه جملة، وما شاكل ذلك مما هو قيد في الجملة، لضروب كثيرة من النظم، وأساليب متنوعة: كالتقديم والتأخير، والحذف والذكر، والتعريف والتنكير، والإضمار والإظهار، وسوى ذلك.

وتخضع هذه الأساليب جميعها لمقتضى الحال، ومناسبة المقام لها، وما يتطلبه المعنى، ويكون أقدر على التعبير عنه، وأدائه على الوجه الأمثل الأكمل، ومن أبرز هذه الأساليب التي سنتوقف عندها هي:

1- التقديم.
2- الحذف.
3- التنكير.
4- الإظهار والإضمار.

---

[1]- معترك الأقران في إعجاز القرآن للسيوطي:340/1.

[2]- وليد ابراهيم قصاب: سلسلة البلاغة العربية علم المعاني، المرجع السابق، ص93-100.

أولا: التقديم.

إن التقـديم في الكـلام قـد يكـون عاديـا مـن طبيعـة تركيـب الجملـة، وقواعـدها في الـنظم، ولا مقتضى للعدول عنه. فعندما نقول: (محمد رسول الله) فهذا تقديم للمبتدأ (محمد) على حسب ترتيبه الطبيعي في الجملة، فحق المبتدأ أنه سابق على الخبر، والفعل مقدم على الفاعل، وحق متعلقات الجملة أن تأتي بعد المسند والمسند إليه، فأمثال هذه الجمل في الآيات التالية، قوله تعالى:

﴿لا يحب الله الجهر بالسوء﴾ (النساء/148).

﴿الله ولي الذين ءامنوا﴾ (البقرة/257).

فيها تقديم طبيعي لكل عنصر من عناصرها، ولكن التقديم في أمثال هذه الجمل:

قوله تعالى:

﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾ (الفاتحة/05).

﴿إلي المصير﴾ (لقمان/14).

﴿إن في ذلك لعبرة﴾ (النازعات/26).

فهذا التقديم يقتضيه النحو، وله غايات بلاغية ودلالات معنوية معينة، والتقديم له أغراض.

أغراض التقديم:

1- التخصـــيص: كمـــا في قولـــه تعـــالى: ﴿لكـــم ديـــنكم ولي ديـــني﴾ (الكـــافرون/06)، وقوله تعالى: ﴿بسم الله مجريها ومرسها﴾ (هود/41).

2- التشويق: قوله تعالى: ﴿للذين يولون من نسائهم تربص أربعة أشهر﴾ (البقرة/226).

أي للذين يحلفون ألا يجامعوا نساءهم –للإضرار بهن– انتظار أربعة أشهر. قدم المسند الخبر (للذين يولون) لتشويق السامع إلى المسند إليه (تربص).

وقول الشاعر: ثلاثـة تشـرق الـدنيا ببهجتهـا * * * * شمس الضحى وأبو إسحاق والقمر

3- تقوية الحكـم وتوكيـده: كمـا في قوله تعالى: ﴿لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار﴾ (يس/40)، قدم المسند إليه (الشمس، الليل) لتقوية الحكم، وهو أبلغ من قولك: لا ينبغي للشمس أن تدرك القمر.

4- تعجيل المسرة: إذا أراد المتكلم بعص المسرة في نفس المخاطب وتعجيلها له قدم اللفظ الذي يحتمل هذه الدلالة.

- العفو عنك صدر به الحكم.
- نجاحك ظهر.

5- تعجيل المساءة: وهو عكس السابق، إذا أراد المتكلم بعث المساءة في نفس المخاطب وتعجيلها له قدم اللفظ الذي يحمل هذه الدلالة، كما في الأمثلة:

- الحكم عليك صدر.
- رسوبك أعلن.

6- مراعاة الفاصلة: وهو غاية صوتية موسيقية، للمحافظة على جرس الكلام وإيقاعه. كما في قوله تعالى: ﴿يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى فأوجس في نفسه خيفة موسى﴾ (طه/66-67)، لم يقل فأوجس موسى خيفة، بل قدم وأخر في الكلام لمراعاة الفاصلة.

7- تقديم ما هو موضع الاهتمام، أو ما هو أولى: وذلك أن من عادة العرب الفصحاء إذا حبرت عن أمر ما، وأناطت به حكما، فإنهم يبدؤون بالأهم الأولى.

قال سبويه: "كأنهم يقدمون الذي شأنه أهم لهم...". [1]

كما في قوله تعالى: ﴿إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات﴾ (الأحزاب/35)، قدم الذكر على الأنثى.

وقد أشار العلماء إلى كثير من حالات التقديم ما هو أولى، ولا سيما في القرآن الكريم، وذلك لاختصاصه بما يوجب له تقديمه على غيره من ذلك مثلا:

أ- **السبق بالزمان والإيجاد:** كتقديم الليل على النهار، والظلمات على النور، وآدم على نوح، ونوح على إبراهيم، وإبراهيم على موسى، والملائكة على الناس، وما شاكل ذلك في الأمثلة: ﴿إن الله اصطفى ءادم ونوحا وءال إبراهيم وءال عمران﴾ (آل عمران). ﴿الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس﴾ (الحج/75).

[1]- البرهان في علوم القرآن: الزركشي، 235/3.

ومـــن ذلـــك تقـــديم الأزواج علـــى الذريـــة، والســـنة علـــى النـــوم، كما في قوله تعالى: ﴿ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين﴾ (الفرقان/74). وقوله تعالى: ﴿لا تأخذه سنة ولا نوم﴾ (البقرة/255).

ب- **اعتبار النزول**: كما في قوله تعالى: ﴿وأنزل التورية والإنجيل من قبل هدى للناس وأنزل الفرقان﴾ (آل عمران/3-4).

ت- **اعتبار الكثرة**: كقوله تعالى: ﴿فمنكم كافر ومنكم مؤمن﴾ (التغابن/02)، لأن الكفار أكثـر. ومـن هـذا القبيـل تقـديم الرحمـة علـى العـذاب في القـرآن الكـريم، كمـا في قولـه تعـالى: ﴿ربكـم أعلـم بكـم إن يشـأ يـرحمكم أو إن يشـأ يعـذبكم﴾ (الإسراء/54).

ث- **اعتبار الوجوب والتكليف**: كما في قوله تعالى: ﴿فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسـحوا برءوسـكم وأرجلكـم إلى الكعبـين﴾ (المائـدة/06). وقوله تعالى: ﴿إن الصفا والمروة من شعائر الله﴾ (البقرة/158).

ولهذا قال الرسول عليه السلام ((نبدأ بما بدأ به الله)). وهناك اعتبارات أخرى للتقديم في القرآن الكريم، وقد بسط العلماء القول فيها. [1]

ثانيا: الحذف

تعريف الحذف: هو إسقاط جزء من الكلام لدليل، ففي كل حذف ثم مقدر يفهم من السياق. والحذف خلاف الأصل، إذ الأصل هو الذكر. وبني على ذلك نوعان[2]، هما:

أحدهما: إذا دار الأمر بيد الحذف وعدمه كان الحمل على عدمه أولى، لأن الأصل عدم التغيير.

والثاني: إذا دار الأمر بين قلة المحذوف وكثرته كان الحمل على قلته أولى.

ولا بد في كل حذف من قرينة لفظية أو عقلية تدل على المحذوف.

---

[1]- معترك الأقران في إعجاز القرآن للسيوطي: 131/1-136، البرهان في علوم القرآن: الزركشي، 233/3.

[2]- البرهان في علوم القرآن: الزركشي، (ط دار الكتب العلمية 119/3).

أنواع الحذف: الحذف نوعان: [1]

1- حـذف علـى تقـدير المحـذوف بـالنص، كمـا في قولـه تعـالى: ﴿صـم بكـم عمـي﴾ (البقرة/18). إذا لا بد من تقرير المحذوف وذكره عند الإعراب، فنقول: صم خبر لمبتدأ محذوف تقديره (هم).

2- حذف على غير تقدير المحذوف بالنص، أي هو الحذف الذي يمكن أن تستقيم فيه الجملة نحويا من غير نص على ذكر المحذوف. كما في قوله تعالى: ﴿وسئل القرية﴾ (يوسف/82). ففي الكلام محذوف، وأصل الكلام: واسأل أهل القرية، ولكن الإعراب لا يقتضي تقديره المحذوف، لأنه عندما حذف المضاف ناب منابه المضاف إليه، فسد مكانه.

أغراض الحذف ودواعيه:

يقع الحذف في الكلام لأغراض بلاغية كثيرة، أهمها:

1- مجرد الاختصار: ويقع في مواطن كثيرة، منها:

ضيق المقام: عند الحذف أو التوجع، أو التحذير، أو الإغراء، أو خوف فوات فرصة، أو تعجيل المسرة، أو ما شاكل ذلك من اعتبارات، كما في الأمثلة التالية:

- تحذيرك لمن دنا منه ثعبان بقولك: ثعبان. أي: هذا ثعبان.
- ومثل ذلك في التحذير والإغراء: النار، الخطر، الصبر ... الخ.

ويقع الاختصار كثيرا في أجوبة السؤال، كما في قوله تعالى: ﴿وما أدرىك ما هيه نار حامية﴾ (القارعة/10-11). أي: هي نار حامية، حذف المبتدأ، المسند إليه.

وقوله تعالى: ﴿فصكت وجهها وقالت عجوز عقيم﴾ (الذاريات/29). أي: أنا عجوز عقيم. حذف المسند إليه المبتدأ.

2- تأتّي الإنكار عند الضرورة: كقولك: فاسق. حذف المسند إليه، والأصل: (فلان فاسق).

[1]- وليد ابراهيم قصاب: سلسلة البلاغة العربية علم المعاني، المرجع السابق، ص105-125.

3- صيانته عن اللسان: تطهيرا له، وذلك في مواطن المديح، والفخر، والتعظيم، والتنزيه، وما شاكل ذلك، كقولنا: سيد الأنبياء. أي: محمد، حذف المسند إليه، المبتدأ.

4- صيانة اللسان عنه: وهو عكس السابق، وطلك في مواطن التحقير أو الذم، كما في قوله تعالى: ﴿صم بكم عمي﴾ (البقرة/18). حذف المسند إليه، تنزيها للسان عنه، أي: هم.

ومنه قول عائشة (رضي الله عنها) عن النبي عليه السلام: ((ما رأى مني ولا رأيت منه)). أي: العورة، فحذف المفعول به.

5- كونه لا يصلح إلا له: أي كون المذكور لا يصلح إلا لهذا المحذوف، فتكون القرينة العقلية دالة عليه، كما في قوله تعالى: ﴿فعال لما يريد﴾ (البروج/16). أي: الله، حذف المسند إليه، لكون الخبر لا يصلح إلا له. وقولك: هادم اللذات، مفرق الجماعات. أي: الموت.

6- التعميم: كما في قوله تعالى: ﴿والله يدعوا إلى دار السلام ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم﴾ (يونس/25). حذف المفعول به لـ (يدعو) وذلك لتعميم الدعوة، فالدعوة للجميع، ولكن يلاحظ أنه ذكر مفعول (يهدي) وذلك لأن الهدية خاصة.

7- رعاية الفاصلة: وهذا جانب لفظي صوتي، فقد يقع الحذف للمحافظة على فواصل الكلام وإيقاعه الموسيقي، من ذلك قوله تعالى: ﴿والضحى والليل إذا سجى ما ودعك ربك وما قلى﴾ (الضحى/1-3). حذف مفعول (قلى) فلم يقل: قلا، مراعاة للفاصلة.

ثالثا: التنكير

التنكير عكس التعريف، وهو شاع في جنسه دون أن يدل على معين، فقولك: (قرأت كتابا) لا يدل على كتاب معين، وقولك: (زارني صديق) لا تعني به صديقا معينا.

أغراض التنكير:

التنكير تدل عليه النكرة في حد ذاتها، ولكن للتنكير أغراضا بلاغية، ومعاني ذات دلالات إيحائية خاصة تفهم عادة من سياق الكلام، ويستعان على معرفتها بقرائن القول، ومن أبرز هذه الأغراض:

1- **التعظـيم**: كمـا في قولـه تعـالى: ﴿ولكـم في القصـاص حيـواة يـا أولي الألبـاب﴾ (البقرة/179). أي حياة عظيمة ذات شأن، وذلك ما يدل عليه السياق، فإن تطبيق القصاص، وإقامة الحدود، هذ الذي يضمن ذلك ويحققه.

2- **التحقيـــر**: وهـــو عكـــس التعظـــيم، ويكـــون في الشـــأن والمنزلـــة والقـــدر، كقوله تعالى: ﴿من أي شيء خلقه﴾ (عبس/18). أي: من أي شيء حقير مهين؟ ثم فسره بقوله تعالى: ﴿من نطفة خلقه فقدره﴾ (عبس/19).

3- **التكثيـــر**: ويكـــون للمقـــادير والكميـــات، وأمـــا التعظـــيم فيكـــون للشـــأن والمنزلـــة، ومنـه قولـه تعـالى: ﴿فـإن كـذبوك فقـد كـذب رسـل مـن قبلـك﴾ (آل عمـران/184). أي: رسل كثيرة، فذلك هو الذي يناسب مقام طمأنة النبي عليه السلام وتسليته، فبين له أنـه لم يُكـذَّب وحـده بـل كُـذّب قبلـه رسـل كثيرون، يحتمـل التنكـير هـذا كـذلك معـنى التعظيم، أي رسل عظام ذو شأن.

4- **التقليـــل**: وهـــو عكـــس التكثـــير، يكـــون في المقـــادير والكميـــات والأعـــداد، كمـا في قولـه تعـالى: ﴿ومسـاكن طيبـة في جنـات عـدن ورضـوان مـن الله أكـبر﴾ (التوبة/72). أي: رضوان قليل من الله تعالى خير وأكبر من تلك المتع المادية جميعها.

5- **بيـــان النـــوع**: أي الدلالـة علـى نـوع معـين مـن أنـواع الجـنس المنكّـر المـذكور كقولـه تعـالى: ﴿وعلـى أبصـارهم غشـاوة﴾ (البقـرة/7). أي: نـوع معـين خـاص مـن الأغشية، هو غشاء التعامي عن آيات الله، وتجاهلها والإعراض عنها.

6- **الإفراد**: معناه إرادة الوحدة، أي الدلالة على فرد واحد معين من الأفراد الذين يصدق عليهم مفهوم اللفظ، كما في قوله تعالى: ﴿وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى﴾ (يس/20). أي: رجل واحد، أو فرد واحد من الأفراد المندرجة تحت مفهوم كلمة (رجل).

7- **التعميم**: من ذلك قوله تعالى: ﴿وإن أحد من المشركين استجارك فأجره﴾ (التوبة/6). أي: أي أحد من المشركين.

رابعا: الإظهار والإضمار

الأصل في الأسماء أن تكون ظاهرة، وأصل المتحدث عنه كذلك إنه إذا ذكر ثانيا أن يذكر مضمرا للاستفتاء عنه بالظاهر المذكور قبله. كما في قوله تعالى: ﴿فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له إليه ترجعون﴾ (العنكبوت/17). ذكر الله ظاهرا، ثم ذكر بعد ذلك بالضمير في: اعبدوه، له، غليه.

ولكن يخرج الكلام أحيانا على خلاف الأصل، فيوضع الظاهر موضع الضمير، والضمير موضع الظاهر، وذلك لأغراض بلاغية. أبرزها:

أغراض الإظهار:

1- **التعميم:** يعدل أحيانا عن الضمير إلى الظاهر، وذلك لتعظيم صاحب الأمر وتفخيمه، وإعلاء شأنه. ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿ويعلمكم الله والله بكل شيء عليم﴾ (البقرة/.....). لم يقل: وهو بكل شيء عليم بالإضمار، بل ذكر لفظ الجلالة بالاسم الظاهر.

2- **الإهانة والتحقير:** كقوله تعالى: ﴿أولئك حزب الله إلا إن حزب الشيطان هم الخاسرون﴾ (المجادلة/19). لم يقل: ومن يتبع خطواته، إن حزبه، بل عدل من الضمير إلى الظاهر إهانة وتحقيرا.

3- **إزالة اللبس:** حيث يكون الضمير يوهم أنه غير المراد، كما في قوله تعالى: ﴿الظانين بالله ظن السوء عليهم دائرة السوء﴾ (الفتح/6). لم يقل: دائرته، بل عدل إلى الظاهر، حتى لا يظن أن الضمير عائد إلى الله تعالى.

4- **قصد العموم:** كقوله تعالى: ﴿وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء﴾ (يوسف/53). لم يقل: إنها، بالإضمار، ولو قال لاحتمل التخصيص، فأتى بالظاهر ليدل على أنه أراد التعميم.

5- **زيادة التقرير والتمكين:** كما في قوله تعالى: ﴿قل هو الله أحد الله الصمد﴾ (الإخلاص/1-2). لم يقل: هو الصمد. لزيادة تقرير المعنى وتمكينه، ويحتمل معنى التعظيم.

ج- القصر: [1]

تعريفه: القصر -لغة- الحبس. قال تعالى في وصف نساء الجنة: ﴿فيهن قاصرات الطرف لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان﴾ (الرحمن/56). أي: هن نساء يحبسن الطرف على أزواجهن، فلا يمتد إلى أحد أخر، ومثله قوله تعالى: ﴿حور مقصورات في الخيام﴾ (الرحمن/72). أي: مقيمات ملازمات للخيام.

وأما القصر -اصطلاحا- فذو صلة بالمعنى اللغوي، إذ هو "تخصيص أمر بأسلوب معين" أي حبسه عليه، وجعله ملازما له، قوي الصلة به. في قولنا: - النّجاة في الصدق. نسبنا النجاة إلى الصدق، ولكنا لم نقصرها عليه، بمعنى أننا لم نجعل صفة النجاة موجودة في الصدق، ل تنفك عنه، وكذا قولنا: - اليهود أهل الغدر. نسبنا اليهود إلى الغدر، ولكنا لم نقصرهم على هذه الصفة وحدها. ولو قلنا هما مثلا بإحدى طرائق القصر: - إنما النجاة في الصدق. — إنما اليهود أهل عذر.

لاكتسب التعبير الأول صفة التخصيص، ولصار معناه: إن النجاة موجودة في الصدق وحده، إن النجاة مقصورة على الصدق لا تكون في غيره، كالكذب، أو الغش مثلا. ولصار معنى التعبير الثاني: إن اليهود مقصورون على الغدر، أي مختصون به، ملازمون له، حتى كأنهم لا يعرفون غير هذه الصفة.

إن القصر -إذن- أسلوب لتقوية العلاقة بين جزأين من أجزاء الكلام، وجعل أحدهما محبوسا على الآخر، ملازما له، لا يفارقه إلى غيره، أولاً ينطق على غيره.

وقد سمى بعضهم القصر باسم "الحصر".[2]

يقع القصر لي الأسلوب الخبري، فالأمثلة التي تقدمت، وفي الأسلوب الإنشائي، كقولنا: لا تحكم إلا بالحق.

---

[1]- وليد ابراهيم قصاب: سلسلة البلاغة العربية علم المعاني، المرجع السابق، ص131-151.

[2]- الإتقان في علوم القرآن، السيوطي: 796/2.

طرائق القصر:

للقصر أربع طرائق مشهورة هي:

1- إنمـا: كمـا في قولـه تعـالى: ﴿كـذلك إنمـا يخشـى الله مـن عبـادة العلمـآؤا﴾ (فـاطر/28). قصر خشية الله على العلماء.

وقول الرسول عليه السلام: ((إنما الأعمال بالنيات)). ربط الأعمال –من حيث الأجر والثواب والقبول- بالنيات، أي جعل الأعمال مقصورة على النيات، مختصة بها.

2- النفي والاستثناء: وهو هنا الاستثناء المفرغ، أي ما حذف منه المستثنى منه، كما في قوله تعالى: ﴿وما محمد إلا رسول﴾ (لآل عمران/144). قصر محمدا على كونه رسولا، أي خصه بهذه الصفة وحدها.

وقوله تعالى: ﴿إنما إلهكم واحد﴾ (طه/98). قصر صفة الألوهية على الله وحده، فلا تتعداه إلى غيره، ولا تنطبق على سواه.

وقد يكون النفي بأي أداة نفي، وقد يكون الاستثناء بأي أداة استثناء، كما في الأمثلة التالية:

- قوله تعالى: ﴿إن أنت إلا نذير﴾ (فاطر/23). قصره على الإنذار، نفي بـ (إنْ) واستثنى بـ (إلاّ).
- لم ينجح سوى المُجِدّ. قصر صفة النجاح على المجد.

وقد يخرج الاستفهام إلى النفي فيكون أسلوب قصر إذا جاء بعده استثناء مفرغ، كقوله تعالى: ﴿هل جزاء الإحسان إلا الإحسان﴾ (الرحمن/60).

3- تقديم ما حقه التأخير: كتقديم الخبر على المبتدأ، أو المفعول على الفعل، أو شبه الجملة على الفعل، وما شاكل ذلك، كما في الأمثلة التالية:

- قوله تعالى: ﴿وإياك نستعين﴾ (الفاتحة/5). قدم المفعول به (إياك) فهذا أسلوب قصر، قصر صفة الاستعانة على الله تعالى، أي نخصك يا إلهنا بطلب المعونة، ولا نلجأ إلى سواك.

- وقوله تعالى: ﴿لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون﴾ (الصافات/47). قدم الخبر المعلق بـ (فيها) على المبتدأ (غول) فأفاد القصر، أي قصر صفة عدم الغول على خمر الجنة وحدها دون غيرها من خمور الدنيا.

ولكن هذا لا يعني أن كل تقديم لما حقه التأخير يفيد القصر، بل قد يكون للتقديم أغراض أخرى غير القصر والتخصيص، كما مر بنا سابقا عند الكلام على أغراض التقديم.

4– القصر بواسطة ثلاثة حروف عطف هي (لا، بل، لكن):

أ– تستعمل (لا) في جملة مثبتة، ويكون القصر فيها إثباتا لجهة معينة، ونفيا هن جعة معينة أخرى، كقولك: – الشاعر أبو الطيب لا البحتري.

– النجاح في الاستقامة لا الكذب.

قصر القائل في المثال الأول الشاعرية على أبي الطيب، أي أثبتها له ونفاها –في مقابل ذلك– عن البحتري، وفي الثاني قصر النجاح على الاستقامة ونفاها عن الكذب.

ب– تستعمل كل من (بل) و(لكن) في جملة نفي أو نهي، ويكون ما بعدهما هو المقصور عليه. وفيها يتم القصر كذلك بإثبات الحكم لجهة معينة ونفيه عن جهة معينة أخرى. ومثال ذلك:

- لا أعمل الخير طمعا في مدح الناس، بل ابتغاء مرضاة الله.
- ما سفر علي لكن ياسر.

ففي الجملة الأولى قصر عمله للخير على ابتغاء مرضاة الله، ونفي في مقابل ذلك أن يكون طمعا في مدح الناس. وفي الثانية قصر السفر على ياسر ونفاه عن علي.

ركنا جملة القصر وتحديدهما:

في كل جملة قصر ركنان هما:

1– **المقصور**: وهو الحكم المراد إثباته، أو هو المخصص.

2– **المقصور عليه**: وهو صاحب الحكم، أو المخصص به.

ويتحدد ركنا القصر أو طرفاه بحسب أسلوب القصر، وهذا بيان:

أولا: في القصر بـ (إنما) يكون البعيد عن (إنما) هو المقصور عليه، والقريب منها هو المقصور، كما في الأمثلـة التاليـة: قولـه تعـالى: ﴿قـالوا إنمـا أنـت مـن المسـحرين﴾ (الشـعراء/153). وقوله تعالى: ﴿إنما يتذكر أولوا الألباب﴾ (الزمر/9).

ففي الآية الأولى المقصور (أنت) والمقصور عليه (من المسحرين) قصره هؤلاء المدعون على كونه من المسحرين.

وفي الآيـة الثانيـة المقصـور (يتـذكر) والمقصـور عليـه (أولـوا الألبـاب) قصـر التـذكر علـى أولي الألباب، أي خصوا به، وحبسوا عليه.

ثانيـا: في القصر بـالنفي والاسـتثناء يكـون مـا بعـد أداة الاسـتثناء هـو المقصـور عليـه، ومـا قبلهـا هـو المقصـور، كمـا في الأمثلـة التاليـة: قولـه تعـالى: ﴿ومـا علـى الرسـول إلا البلـغ المبـين﴾ (النـور/54). وقوله تعالى: ﴿إن أنا إلا نذير مبين﴾ (الشعراء/115).

في الآية الأولى المقصور هو (الرسول)، والمقصور عليه البلاغ المبين، قصر الرسول عليه السلام على أنه للبلاغ المبين، فهو لهذه المهمة. مهمة الإبلاغ، مختص بها محبوس عليها.

وفي الآية الثانية المقصور (أنا)، المقصور عليه (نذير مبين)، قصر نفسه على صفة الإنذار لبين أي هو المختص بهذه الصفة دون غيره، كالهداية مثلا.

ثالثـا: في القصـر بتقـديم مـا حقـه التـأخير يكـون المقـدم عـن رتبتـه هـو المقصـور عليـه، كما في قوله تعالى: ﴿لله ما في السماوات وما في الأرض﴾ (البقرة/284). – مسلم أنا.

في الآيـة (مـا في السـماوات ومـا في الأرض) مقصـور و(لله) مقصـور عليـه، قصـر مـا في السماوات والأرض على الله وحده، فهو المالك لهما وحده من دون غيره.

وفي المثال المقصور (أنا)، والمقصور عليه (مسلم)، قصر نفسه على كونه مسلما، ونفى نفسه عن أية صفة أخرى.

رابعا: القصر بحروف لعطف (لا، بل، لكن).

إذا كان القصر بـ (لا) فإن المقصور والمقصور عليه يكونان قبلها والمقصور عليه منهما هو المقابل لما بعدها.

الأمثلة: – نفعك الجد لا الكسل. (نفعك) هو المقصور، و(الكسل) هو المقصور عليه.

قصر النفع على الجد ونفاه عن الكسل.

– سافرت بالسيارة لا بالطائرة. (سافرت) هو المقصور و(بالسيارة) المقصور عليه.

قصرت سفري على كونه بالسيارة، ونفيت أن يكون بالطائرة.

وإذا كان القصر بـ (بل) و(لكن) فإن المقصور عليه يكون بعدهما وأما المقصور فقبلهما.

الأمثلة: – ما نفعتك العجلة بل التأني. (نفعتك) هو المقصور و(التأني) هو المقصور عليه.

– ما لبحتري حكيم لكن أبو تمام. (حكيم) هو المقصور و(أبو تمام) هو المقصور عليه.

في المثال الأول قصر النفع على التأني ونفاه عن العجلة. وفي المثال الثاني قصر الحكمة على أبي تمام ونفاها عن البحتري.

أنواع القصر:

1– بحسب الطرفين: القصر بحسب طرفيه، المقصور والمقصور عليه نوعان:

أ– قصر صفة على موصوف.

ب– قصر موصوف على صفة.

والمقصود بالصفات هنا أسماء المعاني، وبالموصوفات أسماء الذوات، ولتحديد نوع القصر ينظر إلى المقصور، فإذا كان صفة فهذا قصر صفة على موصوف، وإذا كان موصوفا فهذا قصر موصوف على صفة. الأمثلة: قوله تعالى: ﴿وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل﴾ (آل عمران/144).

وقوله تعالى: ﴿وإن كل لما جميع لدينا محضرون﴾ (يس/32).

وفي الآية الأولى المقصور هو (محمد) وهو موصوف، فهذا قصر موصوف على صفة. قصرا (محمدا) على كونه رسولا قد خلت من قبله الرسل، أي مقصورا على الرسالة لا يتعداها إلى التبري من الموت الذي استعظموه، والذي هو من شأن الإله.

وفي الآية الثانية المقصور (كل)، المقصور عليه (جميع لدينا محضرون) ولما هاهنا بمعنى إلا، فهي يدل على الاستثناء هذا قصر موصوف على صفة، لأن كل موصوف، قصر جميع الخلق على أنهم سيحضرون بين يدي الله تعالى يوم القيامة.

قال ابن قيس الزفيات: إنما مصعب شهاب من الله * * * * تجلت عن وجهه الظلماء

المقصـور (مصـعب) المقصـور عليـه (شـهاب تجلـت) قصـر مصـعبا علـى كونـه شـهابا مـن الله تكشف به الظلماء، أي خصه بهذه الصفة وهذا قصر موصوف على صفة.

2- بحسب الحقيقة والواقع:

ينقسـم كـل مـن قصـر الصـفة علـى الموصـوف، وقصـر الموصـوف علـى الصـفة بحسـب الحقيقـة والواقع نوعين، هما:

1- قصر حقيقي.

2- قصر إضافي (غير حقيقي).

أ- قصـر الصـفة علـى الموصـوف قصـرا حقيقيـا: معنـاه إعطـاء الموصـوف صـفة لا تنطبـق إلا عليـه وحده، فهي لا تعدوه إلى غيره، ولا تختص بأحد سواه كما في الأمثلة التالية:

- لا خالق إلا الله.
- إنما النجاح للمجد.
- لا يعلم الغيب إلا الله.

في المثـال الأول قصـر صـفة الخلـق علـى الله تعـالى، بأسـلوب النفـي والاسـتثناء. وهـذه الصـفة لا تتعدى الله إلى غيره، فهو قصر صفة على موصوف قصرا حقيقيا.

وفي المثال الثاني: قصر صفة النجاح على المجد، بأسلوب (إنما) وهي صفة لا تختص بحسب الحقيقة والواقع بأحد إلا المجد. فهذا قصر صفة على موصوف قصرا حقيقيا.

وفي المثال الثالث قصر صفة علم الغيب على الله تعالى. وهي لا تنطبق على سواه، ولا تختص بغيره، بحسب الحقيقة والواقع...

ب- قصـر الصـفة علـى الموصـوف قصـرا إضـافيا (غيـر حقيقـي): معنـاه إعطـاء الموصـوف صـفة تنطبق -بحسب الحقيقة والواقع- عليه وعلى غيره، لكن المتكلم -مبالغة منه في الوصف وادعاء- زعم أنها لا تنطبق إلا على هذا الموصوف، فهي ينسبها المتكلم إليه زيادة في مدحه أو ذمه، أو غير ذلك، ولك أمثلة على ذلك:

- ما البطل إلا عبد الله.
- إنما الكاتب الجاحظ.

ففي المثال الأول قصر المخاطب صفة البطولة على عبد الله، بأسلوب النفي والاستثناء، ولكن هذه الصفة ليست مختصة به وحده، بل تنطبق –بحسب الواقع والحقيقة– عليه وعلى غيره، ولكن المخاطب –زيادة في الثناء عليه– رغم أنه ينفرد بها. فهذا قصر موصوف على صفة إضافيا.

والمثال الثاني: قصر المتكلم فيه صفة الكتابة على الجاحظ، بأسلوب (إنما)، وظاهر دعواه أن هذه الصفة لا تنطبق إلا على رجل الأثير لديه وهو الجاحظ، ولكن الحقيقة والواقع لا يؤيدان ذلك، فهذه الصفة (الكتابة) تنطبق على الجاحظ وغيره. فهذا قصر صفة على موصوف قصرا إضافيا.

ج– قصر الموصوف على الصفة قصرا حقيقيا: معناه أن الموصوف قصر على صفة لا يعدوها إلى غيرها، حتى كأنما ليس فيه غيرها من الصفات.

فإذا قلنا: – إنما شوقي شاعر. وأردنا أن يكون هذا قصرا حقيقيا فإن معناه: أن شوقي مقصور على الشاعرية ما فيه صفة غيرها. ولذلك نقول إن قصر الموصوف على الصفة قصرا حقيقيا لا وجود له.

د– قصر الموصوف على الصفة قصرا إضافيا: معناه أن نقصر الموصوف على صفة ونخصه بها، لبيان تميزه فيها، ولكن يعدوها إلى غيرها بحسب الحقيقة والواقع. وكل قصر لموصوف على صفة هو قصر إضافي، لاستحالة ألا يكون في أي موصوف إلا صفة واحدة فقط. وعلى ذلك فقولنا: (إنما شوقي شاعر). هو قصر موصوف على صفة قصرا إضافيا.

قال لبيد: وما المرء إلا كالهلال وضوئه * * * * يوافي تمام الشهر ثم يغيب (المرء) مقصور، والمقصور عليه (الهلال) قصر المرء على كونه مثل الهلال وضوئه، أي لا بقاء طويلا له على هذه الأرض، بل هو قصير العمر، سريع الزوال.

وهذا قصر موصوف على صفة، ولذلك فهو قصر إضافي.

2– بحسب حالة المخاطب: يقسم القصر غير الحقيقي بحسل حالة المخاطب، ثلاثة أقسام هي:

- 1. قصر إفراد.
- 2. قصر قلب.
- 3. قصر تعين.

لأن المخاطب بأسلوب قصر هو على إحدى حالات ثلاث:

1- أن يعتقد الشركة في الحكم، أي اشتراك الحكم بين المقصور عليه وغيره.

2- أن يعتقد عكس الأمر الذي يراد إثباته له بالقصر.

3- أن يكون مترددا في إثبات الحكم لجهة معينة، أي في إثباته للمقصور عليه أو غيره.

يسمى القصر في الحالة الأولى "قصر إفراد"، وفي الثانية "قصر قلب"، وفي الحالة الثالثة "قصر تعين"، وإليك ما يوضح ذلك:

فقولنا: – لا مهندس إلا علي. يحتمل أن يوجه إلى مخاطب يعتقد أن صفة الهندسة مشتركة بين علي (و) غيره، فنفرد هذه الصفة وننسبها إلى علي وحده. فيكون هذا قصر إفراد.

وإذا كان المخاطب يعتقد أن صفة الهندسة تنطبق على واحد آخر غير علي، ولا تنطبق على علي، أي يعتقد عكس ما يريد القائل إثباته، كان هذا قصر قلب.

وإذا كان المخاطب متردد بين كون هذه الصفة تنطبق على علي (أو) على غيره كخالد مثلا كان القصر في هذه الحالة قصر تعين.

د– الوصل والفصل: وهذا مبحث هام في البلاغة، حتى إن بعضهم جعله البلاغة كلها، فقال عند سئل عن تعريفها "البلاغة معرفة الوصل من الفصل" فهو مبحث ذو علاقة بالجمل لا بالمفردات، سنخصه بالدراسة والتفصيل بعد إن شاء الله.

هـ– الإيجاز والمساواة والإطناب: [1]

يمكن للمتكلم أن يعبر عن المعاني التي يريد أداءها بأكثر من أسلوب. فقد يوجز، وقد يطنب، وقد تكون ألفاظه على مقدار معين في غير زيادة ولا نقصان.

وكل من هذه الأساليب الثلاثة بلاغة، يشرط مطابقتها لمقتضى الحال، والمقام الذي تساق فيه، لأن هذه الأساليب ليست لها معايير دقيقة، وإنما هي نسبية بحسب ذوق المتلقي وثقافته وذكائه.

[1]– وليد ابراهيم قصاب: سلسلة البلاغة العربية علم المعاني، المرجع السابق، ص187-257.

أولا: الإيجاز

تعريفه: الإيجاز –لغة– التقصير، يقال: أوجز في كلامه، أي قصر، ويقال وجز في منطقه بجز وجزا و وجوزا، أسرع فيه واختصره. ووجز الكلام: قصره وقلله، فهو واجز.

وفي الاصطلاح: التعبير عن المعنى الكثير بلفظ قليل من غير إخلال، فهو إذن نوع من الاختصار، وتقليل الألفاظ، من غير أن يؤدي ذلك إلى إفسادها، أو عدم وضوحها، بل لا بد من وفاء هذا الاختصار بالمعنى، وتأديته على أكمل وجه.

ولذلك يورد البلاغيون مصطلح (الإخلال) إشعارا بأن اختصار اللفظ أو تقليله ينبغي أن يكون بمهارة حتى لا يقود الإيجاز إلى الإخلال.

وبناء على ذلك فالإيجاز بلاغة، والإخلال عيب.

ومن الشواهد التي يسوقها البلاغيون على الإخلال قول عروة بن الورد:

عجبت لهم إذ يقتلون نفوسهم * * * ومقتلهم عند الوغى كان أعذرا

ويقولون: أراد أن يقول: إذا يقتلون نفوسهم في السلم، ولكنه حذف (في السلم) فاختل المعنى. وفي ذلك نظر.

أنواع الإيجاز:

الإيجاز هو بلوغ المعنى المراد بأقل لفظ من غير إخلال بالمعنى، وحتى يكون الإيجاز بلاغة ينبغي أن يكون مناسبا لمقتضى الحال.

ويمكن للقائل أن يوجز كلامه بأسلوبين، هما القصر والحذف، ولذلك الإيجاز نوعان هما: إيجاز قصر، وإيجاز حذف.

1– إيجاز قصر:

إيجاز القصر: أو (القِصَر) هو تقليل اللفظ وتكثير المعنى من غير إخلال، ولكن بلا حذف، ويتم ذلك بانتقاء الألفاظ ذات الدلالات الكثيرة، فالكلام يعطي معنى أطول منه، والجملة فيه مستوفية مقتضياتها، وهذا النوع من الإيجاز من البلاغة بمكان، لأنه يدل على التمكن من الفصاحة ولهذا قال النبي عليه السلام ((أوتيت جوامع الكلم)) أي الكلمات القليلة الجامعة لمعان كثيرة.

والإيجاز الذي أطالت العرب في مدحه هو في الحقيقة هذا النوع: إيجاز القصر. وهو الذي يقصد بأمثال قولهم: "خير الكلام ما قل ودل".

ومن أمثلته: قوله تعالى: ﴿ألا له الخلق والأمر﴾ (الأعراف/54). هذا إيجاز قصر، فهاتان كلمتان استوعبتا جميع الأشياء على غاية الاستقصاء، وروي أن ابن عمر –رضي الله عنه– قرأها فقال: من بقي له شيء فليطلبه.

وقوله تعالى: ﴿لا يصدعون عنها ولا ينزفون﴾ (الواقعة/19). جمع بكلمتين جميع عيوب خمر الدنيا.

2– إيجاز الحذف:

الحذف هو إسقاط جزء من الكلام، والحذف نوع آخر من أنواع الإيجاز وتعريفه: "تقليل اللفظ وتكثير المعنى من غير إخلال عن طريق الحذف".

وقد يكون هذا المحذوف: لفظا، أو بعض لفظ، أو جملة، أو كلاما بأكمله؛ أو حرفا ... الخ.

ضروب الحذف:

ما يحذف من الكلام كثير، ومن أبرزه:

1. **حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه:** كما في قوله تعالى: ﴿حرمت عليكم الميتة﴾ (المائدة/3). أي تناولها، لأنه لا معنى لوقوع التحريم عليها في ذاتها.
2. **حذف المضاف إليه:** كما في قوله تعالى: ﴿لله الأمر من قبل ومن بعد﴾ (الروم/4). أي: من قبل ذلك ومن بعده، وقد قطع الظرف عن الإضافة فبني على الضم.
3. **حذف الصفة وإقامة الموصوف مقامها:** كما في قوله تعالى: ﴿وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا﴾ (الكهف/79). أي: سفينة صالحة، ولذلك خرق العبد الصالح السفينة حتى لا يأخذها الملك.
4. **حذف الموصوف وإقامة الصفة مقامه:** كما في قوله تعالى: ﴿وقليل من عبادي الشكور﴾ (سبأ/13). أي: العبد الشكور.

وقوله تعالى: ﴿وذلك دين القيمة﴾ (البينة/5). أي: الأمة القيمة.

5. حذف المبتدأ: كما في قوله تعالى: ﴿سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم﴾ (الكهف/22). أي: هم ثلاثة، وهم خمسة.

6. حذف الخبر: كما في قوله تعالى: ﴿أكلها دائم وظلها﴾ (الرعد/35). أي: وظلها دائم.

7- حذف الفاعل: كما في قوله تعالى: ﴿حتى توارت بالحجاب﴾ (ص/32). أي: الشمس.

وقوله تعالى: ﴿وخلق الإنسان ضعيفا﴾ (النساء/28). أي: خلق الله، حذف الفاعل للعلم به.

8- حذف المفعول: كما في قوله تعالى: ﴿فعال لما يريد﴾ (البروج/16). أي: يريده، حذف المفعول به، وهو العائد.

وقوله تعالى: ﴿على أن تأجرني ثماني حجج﴾ (القصص/28). أي: تأجرني نفسك.

9- حذف حرف النداء: وهو كثير، منه قوله الله تعالى: كما في قوله تعالى: ﴿يوسف أعرض هذا﴾ (يوسف/29). أي: يا يوسف، حذف حرف النداء.

10- حذف حرف النداء مع بعض المنادى: كما في قوله تعالى: ﴿وقل رب اغفر وارحم﴾ (المؤمنون/118). أي: يا ربي، حذف حرف النداء (يا)، وياء المتكلم –المضاف إليه- من المنادى وهو كثير.

11- حذف المنادى: كما في قوله تعالى: ﴿ألا يسجدوا لله﴾ (النحل/25). أي: يا هؤلاء اسجدوا.

12- حذف الفعل: كما في قوله تعالى: ﴿ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله﴾ (لقمان/25). أي: خلقهن الله، فالله فاعل لفعل محذوف.

13- حذف الجار والمجرور: كما في قوله تعالى: ﴿خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا﴾ (التوبة/102). أي: خلطوا عملا صالحا بسيء وآخر سيئا بصالح.

14- حذف الجمل: وهو كثير وأنواعه كثيرة:

أ- **حذف جملة جواب الشرط:** ويكثر ذلك في جواب (لو) و(لولا) خاصة كما في قوله تعالى: ﴿ولو ترى إذ وقفوا على ربهم﴾ (الأنعام/30).

ب- **حـذف جـواب القسـم**: كمـا في قولـه تعـالى: ﴿والنازعـات غرقـا والناشـطان نشـطا والسـابحات سـبحا فالسـابقات سـبقا فالمـدبرات أمـرا يـوم ترجـف الراجفـة﴾ (النازعات/1-6). حذف حواب القسم، وتقديره: لتبعثن ولتحاسبن.

ت- **حـذف جملـة القـول**: وقـد كثـر في القـرآن الكـريم حـتى إنـه صـار مـن الإضـمار بمنزلـة الإظهـار[1]، كمـا في قولـه تعـالى: ﴿وأنزلنـا عليكم المـن والسـلوى كلـوا﴾ (البقـرة/57). أي: وقلنا كلوا، أو قائلين كلوا.

ث- **حذف جملة السبب**: قد تحذف جملة معللة بالمكورة، كما في قوله تعالى: ﴿ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون﴾ (الأنفال/8). أي فعل ما فعل ليحق الحق.

ج- **وقد يحذف أكثر من جملة**: كما في قوله تعالى: ﴿أنا أنبئكم بتأويله يوسف أيها الصـديق﴾ (يوسـف/45-46). تقـدير الكـلام: فأرسـلوه، فـأتى يوسـف، فقـال: يـا يوسف.

لا بد في كل حذف من دليل على المحذوف، أي قرينة: لفظية أو عقلية. كما أنه لا يجوز الحذف إذا أشكل المراد، أو أدى إلى لبس.

ثانيا: المساواة

المساواة أسلوب وسط بين الإيجاز والإطناب.

ومعنى المساواة أن تكون الألفاظ على مقدار المعاني من غير زيادة ولا نقصان. وكل ما ليس بإيجاز ولا إطناب من الكلام فهو من قبيل المساواة. كما في قوله تعالى: ﴿ودوا لو تدهن فيدهنون﴾ (القلم/9).

قال الرسول عليه السلام: ((لا تزال أمتي بخير ما لم تر الأمانة مغنما والزكاة مغرما))

قال طرفة: ستبدي لـك الأيـام مـا كنـت * * * * ويأتيـك بالأخبـار مـن لم تـزود

[1]- البرهان في علوم القرآن، الزركشي: 233/3.

ثالثا: الإطناب

تعريفه: الإطناب –لغة– مصدر أطنب يقال: أطنب في الكلام أو الوصف أو الأمر: بالغ وأكثر. وأصله من "الطنب" وهو حبل طويل يشد به سرداق البيت.

وأما الإطناب في الاصطلاح فهو يقابل الإيجاز، ومعناه: "زيادة في اللفظ لفائدة في المعنى". واللفظ الزائد لغير فائدة هو أحد شيئين:

1- **التطويل**: وهو زيادة لغير فائدة، ولكنها ليست معينة، أي لا يمكن تحديدها، كقول القائل: "أكره التملق والنفاق". فإن (التملق) أو (النفاق) زيادة لغير فائدة؛ لأن أحد اللفظين يغني عن الآخر.

2- **الحشو**: وهو زيادة لغير فائدة، ولكنها معينة، كقول القائل: أصابني رمد في عيني. في هذا المثال زيادة متعينة محددة، لأن الرمد لا يكون إلا في العين.

ومنه قول زهير: وأعلم علم اليوم والأمس قبله *** ولكنني عن علم ما في غد عم

فإن قوله (قبله) زيادة لا فائدة منها، ويمكن الاستغناء عنها، لأنها متعينة، فهذا من قبيل الحشو.

أنواع الحشو: الحشو نوعان:

1- حشو غير مفسد للمعنى: أي زيادة لا فائدة منها، ولكنها لا تؤدي إلى إفساد المعنى، أو الإخلال به. ومن قول:

أبي العيال الخفاجي: ذكرت أخي فعاود بي **** صداع الرأس والوصب

فإن لفظ الرأس زيادة معينة، لا فائدة منها، لأن الصداع لا يكون إلا في الرأس، ولكن هذه الزيادة لا تفسد المعنى، فهذا حشو غير مفسد.

2- حشو مفسد للمعنى: أي زيادة لا فائدة منها، ولكنها تزيد على ذلك في أنها تفسد المعنى، وتخل به.

ومن الحشو المفسد قول الأعشى يمدح قيسا:

ونبئـــــــت قيســـــــا ولم آتـــــــه **** وقــد زعمــوا – ســاد أهــل الــيمن

فجملـة (وقـد زعمـوا) زيـادة لا فائـدة منهـا، بـل هـي مفسـدة للمعـنى، لأن هـذا الكـلام لا يستعمل إلا عند الشك في صدق القائل.

أنواع الإطناب: أنواع الإطناب كثيرة أبرزها:

1. الإيضاح بعد الإبهام.
2. ذكر الخاص بعد العام.
3. ذكر العام بعد الخاص.
4. التكرير.
5. التذييل.
6. الاحتراس.
7. التتميم.
8. الإيغال.
9. الاعتراض.

أ– الإيضاح بعد الإبهام: نوع من أنواع الإطناب، ومعناه أن يذكر اسم مبهم ثم يوضح، كقولك:

- هل أدلك على أكرم الناس، فلان. ذكر مبهما وهو (أكرم الناس)، ثم وضحه بلفظ (فلان).

وكـذلك أفعـال المـدح والـذم: - نعـم الرجـل زيـد. ذكـر مبهمـا هـو الرجـل ثم **وضـحه بـذكر** ما يفسره وهو (زيد) الذي يعرب في هذه الحالة خبرا لمبتدأ محذوف.

قال تعالى: ﴿وما تكون في شأن وما تتلوا منه من قرءان ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهودا﴾ **(يونس/61)**. الضمير (منه) يعود على القرآن، ثم وضحه بالاسم الصريح (قرآن) تعظيما **وتنزيها بشأنه.**

- **التوشيع**: من أنواع الإيضاح بعد الإبهام نوع يسمى التوشيع، وهو –في الاصطلاح- **أن يؤتى** في عجـز الكـلام بمثـنى ثم يفسـر بـاسمين. أحـدهما معطـوف علـى آخـر، مـن ذلـك قول النبي عليه السلام: ((يشيب ابن آدم وتشب معه خصلتان: الحرص وطول الأمل)). أتى **بمبهم هـو (خصلتان)** وهـو مثنى، ثم أوضـحه فـذكر جزأيه، وهمـا (الحـرص) و(طـول الأمـل) عاطف الثاني على الأول، وفي ذلك تفخيم للأمر وتعظيم.

وقد يكون المبهم أكثر من اثنين، ثلاثة أو أكثر، أي جمعا، كما في قول الشاعر:

ثلاثـــة تشـــرف الـــدنيا ببهجتهـــا **** شمس الضحى، وأبو إسحاق، والقمر

أتى بمبهم جمع هو (ثلاثة) ثم فسره بأجزائه وهي (شمس الضحى) و(أبو إسحاق) و(القمر) **تشويقا للأمر وتعظيما له.**

ب– ذكر الخاص بعد العام:

وفيه يؤتى بالخاص معطوفا على العام، للتنبيه على فضله، إن الخاص يذكر مرتين: مرة ضمن العام، ومرة يفرد وحده، وذلك يكسبه التميز والأهمية، ومنه قوله تعالى: ﴿**حافظوا على الصلوات والصلوة والوسطى**﴾ (البقرة/238). **الإطناب هو قوله (والصلوات الوسطى) فهي من الصلوات، ولكنها خصت بالذكر، فعطفت على العام -الصلوات- تنبيها على منزلتها.**

ج– ذكر العام بعد الخاص:

وهو عكس النوع السابق، معناه أن يذكر خاص ثم **يعطف عليه عام، ويكون الخاص جزءاً** من هذا العام، ويكون قد ذكر مرتين، مرة وحده، ومرة في محتوى العام لأنه جزء منه.

ومنه قوله تعالى: ﴿قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين﴾ **(الأنعام/162).**

النسك: العبادة، فهو عام، ومنه الصلاة، فهي جزء منه، ولكنها خصت بالذكر بيانا لشأنها، ذكرت **وحدها مقدمة، وذكرت مرة أخرى ضمن العام، وهو (النسك).**

د– التكرير:

التكرير: مصدر كرر، ومعناه ردد وأعاد. ويقال التكرار كذلك، والمقصود هنا تكرير اللفظ.

ويرد التكرير الذي هو إطناب لأغراض بلاغية كثيرة منها:

1. **التأكيـــد**: أي تأكيـــد المعـــنى، وتقويتـــه، وتقريـــره لـــدى المخاطـــب، ومنـــه قوله تعالى: ﴿كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون﴾ (التكاثر/3-4). فهذا تأكيد للإنذار، وفي ثم تنبيه على أن الإنذار الثاني أبلغ من الأول.
2. **زيادة التنبيه على ما ينفي التهمة**: ليكمل تلقي الكلام بالقبول، كقوله تعالى: ﴿وقال الذي ءامـن يـا قـوم اتبعـون أهـدكم سـبيل الرشـاد يـا قـوم إنمـا هـذه الحيـواة الـدنيا متـاع﴾ (غافر/38-39). كرر النداء لإشعار بقربة منهم، مما ينفي التهمة، لكي يكونوا أشد قبولا لنصحه، واقتناعا به.
3. **التعظيم والتهويل**: إن تكرير اللفظ يكون أحيانا للإشعار بعظمته وهيبته، والتنويه برفيع قدره، وجليـل شـأنه، كمـا في قولـه تعـالى: ﴿القارعـة مـا القارعـة ومـا أدريـك مـا القارعـة﴾ (القارعة/1-3).
4. **تعدد المتعلق**: وذلك بأن يكون المكرر ثانيا متعلقا بغير ما تعلق به الأول، ويسمي بعضهم هذا النوع بالترديد، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿فبأي ءالاء ربكما تكذبان﴾ (الرحمن/13). تكررت في سورة الرحمن إحدى وثلاثين مرة، والله تعالى ذكر نعمة بعد نعمة، وعقب كل نعمة بهذا القول، فهي –وإن تعددت- فكل واحد منها متعلق بما قبله.
5. طول الكلام: إذا طال الكلام، وخشي تناسي الأول، أو عدم الربط بين أجزائه، أعيد ثانيا تطرية له، وتجديدا لعهده، كما في قوله تعالى: ﴿ثم إن ربك للذين عملوا السوء بجهالة ثم تابوا مـن بعـد ذلـك وأصـلحوا إن ربـك مـن بعـدها لغفـور رحـيم﴾ (النحـل/119). طال الفاصل –كما هو ظاهر- بين اسم إن وخبرها فكرر للربط.

هـ– التذييل:

التذييل مصدر ذَيَّلَ، وهو لغة جعل الشيء ذيلا للأخر.

أما في المصطلح فهو تعقيب الكلام، أي ختمه بجملة تشتمل على معناه، بقصد توكيده.

فالتذييل **كلام مستقل يؤتى به بعد** تمام الكلام، وهو في معنى الأول مختصرا، تحقيقا لمدلول الأول، أو مفهومه، ليكون منه كالذيل، فيظهر المعنى عند من لا يفهمه، ويكمل عند من فهمه.[1]

والتذييل نوعان:

1. **نوع يخرج مخرج المثل:** أي يكون كلاما مستقلا بإفادة المراد غير ارتباط بما قبله، كما في قوله تعالى: ﴿**وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا**﴾ **(الإسراء/81).**

فقوله (إن الباطل كان زهوقا) زيادة لفائدة، وهي تؤكد معنى الكلام السابق؛ إذ هي تحتمل معناه، وهو أن الباطل يزهق دائما، والحق يظهر وينتصر وهذه الزيادة كلام مستقل بنفسه، **فهي تذييل من نوع المثل.**

2. **ضرب لا يخرج مخرج المثل: وذلك لعدم استقلاله بإفادة المراد، وتوقفه على ما قبله.**

كقوله تعالى: ﴿ذلك جزيناهم بما كفروا فهل يجازى إلا الكفور﴾ **(سبأ/17).**

المعنى: هل نجازي ذلك الجزاء **إلا الكفور؟** فهذا زيادة تحمل معنى الكلام السابق، وهو جزاء الكافرين، تأكيدا وتحقيقا، فهي تذييل، ولكنه على غير شكل المثل، لعدم استقلاله **بإفادة المراد.**

و- الاحتراس:

ويسمى كذلك التكميل، والاحتراس **-لغة-** من احترس، أي تحرز واحتاط.

وأما في المصطلح فهو زيادة يؤتى بها لدفع توهم، أو إزالة لبس قد يعتري الكلام لولاها.

قد يأتي القائل بكلام يمكن حمله على غير وجهه، فيظن ذما وهو مدح، أو نقصا وهو كمال، أو قبحا وهو حسن، أو ماش اكل ذلك، فيؤتى بزيادة توجه الكلام التوجيه الصحيح، هذه الزيادة هي الاحتراس، وتحرز مما قد يوجب الطعن.

وقد يأتي الاحتراس في وسط الكلام، على شكل اعتراض، أو في آخره، أو على شكل شرط. لو قال زميل لزميله: (أعرني الكتاب) أو (أعطيني الكتاب). وكان يخشى أن يسيء الزميل فهم كلامه، فيظنه أمرا من باب الاستعلاء، فإنه يحترس، فيأتي كلامه بزيادة، فيقول مثلا:

---

[1]– البرهان في علوم القرآن، الزركشي: 68/3.

- أعرني – غير مأمور- كتابك. فـ (غير مأمور) دفعت توهم الأمر والاستعلاء، ومحضت الكلام للالتماس.

قول طرفة في الدعاء بالسقيا: فسقى ديارك –غير مفسدها- **** صـــوب الربيع وديمة تهمي [1]

ز– التتميم:

جعل بعضهم الاحتراس والتتميم شيئا واحدا، وقد وردت كثير من شواهد الاحتراس في باب التتميم. [2]

وجعل بعضهم الاحتراس من التتميم، على اعتبار أن التتميم أعم، وهو قد يرد لغرضين:

- الاحتراس من أن يفهم غير المراد.
- إتمام المعنى وكماله.

وجعلهما القزويني نوعين مستقلين[3]، فالاحتراس هو الأول، والتتميم هو الثاني، وعلى ذلك فإن التتميم عندئذ هو: "زيادة تأتي في الكلام –لا لدفع توهم قد يفهم من الكلام كما في الاحتراس- ولكن لزيادة المعنى نكتة تتمه، وتوفيه حظه من الجودة والكمال".

أمثلة على ذلك:

- **فلان كريم.**
- فلان بخيل.
- **فلان قوي.**

وصفنا فلانا في هذه الأمثلة بصفات، الكرم، والبخل، والقوة، ولكن عندما نصوغ الكلام بهذا الشكل، فنضيف إليه:

- فلان كريم (على فقره).

---

[1]– صوب الربيع: انصبابه ونزوله، والربيع هنا مجاز عن مطره. تهمي: تسيل.

[2]– الصناعتين، أبو الهلال العسكري، 434.

[3]– الإيضاح، القزويني: 313/310.

- فلان بخيل (وهو غني).
- فلان قوي (وقد تقدمت به السن).

ح- الإيغال:

الإيغال هو ختم الكلام بلفظ أو عبارة يتم المعنى من دونها، ولكنها تفيد نكتة ما، كالمبالغة، و تحقيق التشبيه، أو ما شاكل ذلك، تقع في نهاية الكلام تتحقق بها السجعة أو القافية، ولكنها تضيف زيادة على تحقيق هذا الغرض.

وإنما سمي هذا النوع من الإطناب إيغالا "لأن الناظم أوغل فكره حتى استخرج سجعه أو قافيه تفيد معنى زائدا على الكلام".[1]

لو قال قائل "واجهني أحمد مستنكرا، وخاطبته فولى مدبرا". فإن كلمة (مدبرا) زائدة مفيدة، تحققت بها سجعة الكلام، وأضافت إلى معنى التولي مبالغة، فهذا إيغال.

يقع الإيغال في الشعر على الأغلب، وهو يتعلق كثيرا بالتشبيه، ورأى بعضهم أنه يقع في النثر كذلك.

1- الإيغال في الشعر: إنه يأتي مع التشبيه في القالب، إذ تنتهي صورة التشبيه من دونه، ثم تأتي الزيادة لإقامة القافية، وإضافة معنى زائد إلى التشبيه.

ومن أمثلة ذلك قول الخنساء:

وإن صـــــخرا لتـــــأتم الهـــــداة بـــــه **** كأنـــه علـــم (في رأســـه نـــار)

أرادت الخنساء وصف أخيها بالشهرة، وقد انتهى كلامها عند قولها مشبهة: (كأنه علم) ولكنها أتت بالزيادة التي بين قوسين (في رأسه نار) فحققت بها القافية، أضافت زيادة إلى المعنى، وهي مبالغة في وصفه بالشهرة؛ فلا شك أن صخرا أكثر ظهورا أو بروزا إذا كان كالجبل الذي (في رأسه نار) فهذه الزيادة إيغال.

[1]- جوهر الكنز، لنجم الدين بن الأثير الحلبي: 133.

وقد يأتي الإيغال في الشعر في غير تشبيه، فيكون لإقامة القافية، وإضافة معنى المبالغة في الوصف.

ومنه قول ابن المعتز: وداع دعا والليل بيني وبينه **** **فكنت مكان الظن منه وأعجلا**

الإيغال في قوله: (وأعجلا) إذ هي زيادة أقامت القافية، وأضافت معنى المبالغة في الوصف، فقد وصف نفسه بسرعة إجابة من يدعوه، فهو عند موضع الظن به، ثم زاد على ذلك بقوله: **(وأعجلا).**

2- الإيغال في النثر: قال تعالى: **ولا تسمع الصم الدعاء إذا ولوا مدبرين** (النمل/80).

انتهي الكلام عند قوله: (ولوْا) ولكنه زاد (مدبرين) فحقق فاصلة الآية. وأضاف مبالغة إلى تولي هؤلاء؛ لأن مطلق التولي قد يكون من جانب إلى جانب، فلما كان التولي من هؤلاء عن عدم إصغاء إلى ما دعوا إليه كانوا مدبرين، فحسن الكلام بهذا الإيغال الحسن، الذي جعل تولي**هم أكثر، وعدم انتفاعهم أشد.**

ط- الاعتراض:

من أنواع الإطناب الاعتراض، وهي زيادة مفيدة، إذ يؤتى في أثناء الكلام، أو بين كلمتين متصلتين معنى، بجملة أو أكثر لا محل لها من الإعراب، وذلك لنكتة خاصة فالاعتراض إذن فُضلة **يمكن الاستغناء عنها، وإسقاطها من الكلام** فيتصل ما بعدها بما قبلها في المعنى، لكن هذه الفصلة مفيدة. إنها إذا لم تكن مفيدة فهي من قبيل الحشو أو التطويل.

فقول زهير: **سئمت تكاليف الحياة ومن يعش** **** ثمانين حولا –**لا أبالك- يسأهم**

فيه اعتراض بقوله: (لا أبالك) بين فعل الشرط وجوابه، ولكنه عير مفيد، فهو **ليس من قبيل الإطناب، بل هو حشو.**

وقد درج –في الكتابة المعاصرة- على وضع الكلام المعترض بين خطين (- -) **تميزا له.**

أغراض الاعتراض:

للاعتراض المفيد أغراض بلاغية، أهمها:

1. **التنزيه والتعظيم:** كما في قوله تعالى: ﴿ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون﴾ **(النحل/57).** (سبحانه) اعتراض لغرض تعظيم الله تعالى، وتنزيهه عما ينسب السفهاء إليه، **والشناعة على جعل البنات لله، وتعجيب الخلق من ذلك.**
2. **الدعاء:** كما في قولنا: قال رسول الله **–صلى الله عليه وسلم- ((إنما الأعمال بالنيات)).**
3. **التنبيه:** كما في قول الشاعر: واعلم **–فعلم المرء ينفعه-** **** أنّ سوف يأتي كل ما قُدِرا جملة (فعلم المرء ينفعه) اعتراضية بين الفعل ومفعوله، وذلك بغرض التنبيه على أهمية العلم، ولفت النظر إليه، وتخصيصه بفضل اهتمام وعناية.
4. **التخصيص:** قد تأتي الجملة الاعتراضية لغرض الاختصاص. كقولي النبي عليه السلام: ((نحن **–معاشر الأنبياء- لا نورثُ)).**
5. **قصد التبرك أو التأدب:** كما في قوله تعالى: ﴿**لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله** ءامنين﴾ **(الفتح/27).** اعتراضية بجملة (إن شاء الله).
6. **الرد على معترض أو تكذيبه: كقول النابغة الجعدي:**

ألا زعمت بنو سعد بأني **** **ألا كذبوا –** كبير السن فانِ

اعتراض بجملة ألا كذبوا بين أني وخبرها، بغرض إبطال زعمهم، والرد عليهم، وتكذيبهم.

7. **وقد يقع الاعتراض لغرض الاحتراس، أو التتميم: كقول الشاعر:**

إني –إلى ما ترين من كبري- **** **أعرف من أين تؤكل الكتف**

وقد يقع اعتراض في اعتراض آخر، كما في قوله تعالى: ﴿**فلا أقسم بمواقع النجوم وإنه لقسم لو تعلمون عظيم إنه لقرءان كريم**﴾ **(الواقعة/75-77).** في الآيات اعتراضات، اعتراض بقوله: (وإنه لقسم لو تعلمون عظيم) بين القسم وجوابه للتأكيد والتنبيه ولفت النظر، ثم أتى

باعتراض آخر وهو قوله (لو تعلمون) بين الصفة والموضوع، وذلك تعظيما للمقسم به، وتحقيقا لإجلاله، وإعلاما لهم بأن له عظمة لا يعلمونها.

وهكذا فإن للاعتراض المفيد بلاغة رفيعة، ومواطن من الحسن كثيرة.

قال الطيبي في التبيان: (ووجه حسن الاعتراض حسن الإفادة) مع أن مجيئه مجيء ما لا يترقب، فيكون كالحسنة تأتيك من حيث لا تحتسب. [1]

المبحث الثاني: علم البديع. [2]

تعريف البديع: يعرفه البلاغيون بأنه ((علم يعرف به وجوه تحسين الكلام، بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال، ووضوح الدلالة)).

أي بعد أداء حق المعاني في نظم الكلام، وحق البيان في التعبير عن المعنى الواحد بطرائق غير مباشرة تختلف في وضح الدلالة، ويضم علم البديع مجموعة من وجوه تحسين الكلام، ويقسم البلاغيون هذه الوجوه البديعية المحسنة نوعين:

- 1. محسنات معنوية.
- محسنات لفظية.

فوجوه تتعلق بتحسين المعنى، ووجوه تتعلق بتحسين اللفظ، من غير أن يعني ذلك أن أحدهما لا يؤثر في الآخر.

ومحسنات البديع –**بنوعيها**- كثيرة جدا، وقد تكلف بعض البلاغيين، وتفننوا في تنوعيها وتفريعها حتى أوصلها بعضهم إلى المئات.

---

[1]– الاتقان في علوم القرآن، السيوطي: 873/2.

[2]– وليد ابراهيم قصاب: سلسلة البلاغة العربية علم البديع، المرجع السابق، ص14-31.

وأكثر ما أوتيت البلاغة العربية، ودخلها التصنع والتكلف من جهة البديع، إذ راح الشعراء والكتاب –في عصر ضعف الأدب وانحداره- يستكثرون من الألوان البديعية، وصارت عندهم غاية في حد ذاتها، مما طغى على رونق المعنى وجمال الأسلوب. فعرفت هذه القصائد بـ (البديعيات).

ولا يعني ذلك أن هذه المحسنات لا علاقة لها باللفظ، أو أن أثرها في المعنى وحده، فالحق أن اللفظ والمعنى لا ينفك أحدهما عن الآخر ولا يتخيل أبدا لفظ من غير معنى، أو معنى من غير لفظ، إن ارتباطهما –كما يقول ابن رشيق في العمدة- كارتباط الروح بالجسد، ومن أبرز المحسنات المعنوية التي نتطرق إليها: الطباق؛ وتندرج تحته (المقابلة، وإبهام التضاد، والتدبيج)، مراعاة النظير، تشابه الآطراف، الإرصاد، المشاكلة، التورية، اللف والنشر، التقسيم، التجريد، المبالغة، المذهب الكلامي، حسن التعليل، تأكيد المدح بما يشبه الذم وعكسه، أسلوب الحكيم، الالتفات، التضمين، الاقتباس.

ومن المحسنات اللفظية: الجناس، رد العجز على الصدر، التصريع، السجع، التشطير، الموازنة، المماثلة، لزوم ما لا يلزم.

المحسنات المعنوية:

الطباق: ويندرج تحته المقابلة، التدبيج، إبهام التضاد: وهو "الجمع بين معنيين متضادين في الجملة". له أسماء كثيرة، منها المطابقة، والتضاد.

هـو أسـلوب جمـالي مهـم في توضـيح المعـاني وإبرازهـا، واكتسـابها رونقـا، لأن الأشـياء تتميـز بأضدادها، وتبرز قيمتها –مدحا أو ذما- ولذلك قالوا: الضد يبرز حسنه الضد.

ويقع الطباق بين اسمين، أو فعلين، أو حرفين، أو اسم وفعل، أو غير ذلك، ومن أمثلته:

- قوله تعالى: ﴿وتحسبهم أيقاظا وهم رقود﴾ (الكهف/18). فقد طابق بين (أيقاظ) و(رقود) وهما اسمان.
- وقوله تعالى: ﴿تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء﴾ (آل عمران/26). طابق بين (تؤتي) و(تنزع)، و(تعز) و(تذل) وهي أفعال.

- **وقوله** تعالى: ﴿لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت﴾ **(البقرة/286). طابق بين** (لها) **و(عليها)** وهما **حرفان.**
- **وقوله** تعالى: ﴿أومن كان ميتا فأحييناه﴾ **(الأنعام/122).** طابق بين (ميتا) و(أحييناه) وهما مختلفات الأول اسم والثاني فعل.

أنواع الطباق: الطباق نوعان:

أ- **طباق الإيجاب: إن يؤتى بالكلمة ونقيضها، أي أن يقابل بين المعنيين بالتضاد. كما في الأمثلة السابقة.**

ب- **طباق السلب:** وهو يؤتى بالمعنى وعكسه، عن طريق: الإثبات والنفي، أو الأمر والنهي. **فمن الإثبات والنفي قوله** تعالى: ﴿**ولكن أكثر الناس لا يعلمون يعلمون ظاهرا من الحيواة الدنيا**﴾ **(الروم/6-7). طابق بين الفعل المنفي (لا يعلمون) والفعل المثبت (يعلمون) وقد** يكون الإثبات والنفي في الأسماء كذلك، كما في قوله تعالى: ﴿فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة﴾ **(الحج/5). طابق بين الاسم** المثبت (مخلقة) والاسم المنفي (غير مخلقة). **ومن تضاد الأمر والنهي** قوله تعالى: ﴿فلا تخشوا الناس واخشون﴾ **(المائدة/44). طابق بين النهي (لا** تخشوا) **والأمر (اخشوا)** وهما **متضادتان، لأن الأمر طلب فعل شيء، والنهي عكسه، هو طلب الكف عن الشيء.**

والطباق منه:

ظاهر: إذ يؤتى بالمعنى وعكسه بشكل واضح ظاهر، لا يحتاج إلى نظر أو تأويل، كالأمثلة التي تقدمت.

خفي: وهو ما يحتاج **الوقوع عليه** إلى **شيء من التأويل والنظر، لأن** المعاني **المتضادة قد لا تظهر** في **الألفاظ. على** نحو **قوله** تعالى: ﴿**مما خطيئتهم أغرقوا فأدخلوا نارا**﴾ **(نوح/25). والطباق هنا بين**

(أغرقوا) و(نارا) وهذا غير ظاهر، ولكن تأويله أن الغرق من صفات (الماء) أو يقتضي وجود الماء فطابق بينه وبين النار لهذا الملحظ فكأن الطباق بين (الماء) و(النار).

ومن الطباق الخفي قوله تعالى: ﴿ولكم في القصاص حياة﴾ (البقرة/179). طابق بين (القصاص) و(الحياة) وهما –على الظاهر- غير متضادتين، ولكن القصاص يؤدي إلى (الموت) أو يرتبط به، فكأنه صار بمعناه، ولذلك طابق بينه وبين (الحياة) كما يطابق بين (الموت) و(الحياة): وهو طباق خفي لعدم ظهوره في أشخاص الألفاظ.

والطباق قد يكون لفظيا، وقد يكون معنويا.

اللفظي: هو أن يؤتى بالمعنى وعكسه عن طريق تضاد الألفاظ، وتقابلها، سواء أكان ظاهرا أم خفيا.

المعنوي: هو أن يؤتى بالمعنى وعكسه لا عن طريق الألفاظ المتضادة، بل عن طريق الإيماء إلى المعنى المعاكس بلفظ غير متضاد مع الأول. كما في قوله تعالى: ﴿إن أنتم إلا تكذبون قالوا ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون﴾ (يس/15-16). رد الرسل على المذبين بقولهم: ﴿ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون﴾ (يس/16). وهذا معناه: إنا صادقون، وهو عكس كلامهم.

ومن الطباق المعنوي قوله تعالى: ﴿جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء﴾ (البقرة/22). طابق بين الأرض والسماء طباقا لفظيا ظاهرا، ولكنه طابق بين (الفراش) و(البناء) طباقا معنويا، لأنه لما كان البناء رفعا للمبنى قوبل بالفراش الذي هو على خلاف البناء[1] أي الفراش خفض والبناء رفع.

2– المقابلة:

وتكون بين معنى تركيب وما يقابله، فهي لا تقه بين ألفاظ متضادة على نحو ما هو في الطباق، بل تقع بين المعاني، فهي أن يؤتي بمعنيين متوافقين أو أكثر، ثم بما يقابلهما على الترتيب. كقوله تعالى: ﴿فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا﴾ (التوبة/82). أتى بتركيب مكون من معنيين (الضحك القليل) فيقابله بتركيب آخر مكون من نقيض للمعنيين السابقين، وهو (البكاء الكثير) إذ (البكاء) عكس (الضحك) و(الكثير) عكس (القليل).

[1]– الاتقان في علوم القرآن، السيوطي: 934/2.

ومثله في مقابلة معنيين بمعنيين قوله تعالى: ﴿ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث﴾ (الأعراف/157). قابل معنيي (إحلال الطيبات) بمعنيي (تحريم الخبائث).

وقد يقابل ثلاثة معاني بثلاثة معان، كقول أبي دلامة:

مـا أحسـن الـدين والـدنيا إذا اجتمعـا **** وأقـبح الكفـر والإفـلاس بالرجـل

قابل (أحسن) بـ (أقبح) و(الدين) بـ (الكفر) و(الدنيا) بـ (الإفلاس).

وقد يقابل أربعة معان بأربعة معان، كما في قوله تعالى: ﴿فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى﴾ (الليل/5-10). قابل بين (أعطى) و(بخل) و(اتقى) و(استغنى) لأن المراد باستغنى أنه زهد بما عند الله، كأنه مستغن عنه، فلم يتق. وقابل (صدّق) و(كذّب) وبين (اليسرى) و(العسرى).

فمن الواضح أن المقابلة طباق متعدد، ولكنه يكون بين تركيب يتكون من عدة معان، وتركيب آخر فيه معان تقابل ما في التركيب الأول، وهي أسلوب جميل لإبراز التفاوت والتمايز بين المعاني.

ولا بد في المقابلة –كما في فنون البديع جميعا- أن تكون عفوية خالية من التكلف، تساق لخدمة المعنى، وزيادته إيضاحا وجلاء، أي أن يكون هو الذي يستدعيها، وليس العكس.

الطباق والمقابلة في القرآن الكريم:

ورد أسلوب الطباق والمقابلة في القرآن الكريم كثيرا، وهو يرد في أرقى صوره وأشكاله، من غير تكلف ولا عنت، يسوق المعنى إليه سوقا، وكثيرا ما يعرض القرآن الكريم الشيء ونقيضه، لإبراز الأضداد، وتمييز المعاني، والمقارنة بين الأشياء، كي تتضح الفروق، وتتجلى الاختلافات، فنجد الجنة بجانب النار، والحسنة إلى جانب السيئة، والظلمات والنور، والسماء والأرض. إلى غير ذلك من عشرات المعاني القرآنية التي يقترن فيها الشيء بنقيضه، والمعنى يقابله، اقترانا طبيعيا لا تكلف فيه.

وهذه نماذج من الأسلوب القرآني: قال تعالى: ﴿أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين﴾ (المائدة/54). وقوله تعالى: ﴿ويرجون رحمته ويخافون عذابه﴾ (المائدة/57).

الطباق والمقابلة في الحديث الشريف:

قـال الرسـول صـلى الله عليـه وسـلم: ((إنكـم لتكثـرون عنـد الفـزع، وتقلـون عنـد الطمـع)). وقوله صلى الله عليه وسلم: ((لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا)).

3- التدبيج:

هو نوع من أنواع الطباق، والتدبيج من الدبج، ومعناه النقش والتزيين.

وتعريفه: أن يذكر في معنى من المدح وغيره ألوان بقصد الكتابة أو التورية.

فالتدبيج أضيق من الطباق، لأنه مختص بالألوان وحدها، والمقصود بالألوان ما دون السواد والبياض، لأن هذين اللونين متضادان على الحقيقة، فما بينهما طباق. وأما ما عداهما من الألوان فليس بينهما تضاد على الحقيقة، فلا يقع بينهما. بل يقع ما يشبهه وهو "التدبيج" بشرط أن تستعمل هذه الألوان في مواطن التورية أو الكتابة عن معنى من المعاني.

ومن أمثلة التدبيج قول أبي تمام يرثي محمد بن حميد:

تـردى ثيـاب المـوت حمـرا فمـا أتـى **** لهـا الليـل إلا وهـي مـن سـندس خضـر

استخدم الألوان (حمر) و(خضر) وكنى بكل لون عن معنى من المعاني: كنة باللون الأحمر عن الموت في ساحة المعركة بعد أن تخضب بالدماء، وكنى باللون الأخضر عن دخول الجنة وارتدائه ثيابا من سندس أخضر.

ويشترط في استعمال الألوان حتى تكون تدبيجا أن تكون مستعملة، استعمالا غير حقيقي أي في مواطن التورية أو الكناية: لمدح، أو ذم، أو غير ذلك من المعاني، وأما إذا استعملت استعمالا حقيقيا فلا يعد ذلك من التدبيج.

كما يشترط كذلك في التدبيج تعدد الألوان، أما استعمال لون واحد في الكلام استعمالا غير حقيقي فلا يعد من هذا النوع، كما في قوله تعالى: ﴿وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو

كظيم (النحل/58). لم يستعمل إلا لونا واحدا وهو السواد، عبر به عن الحزن والكآبة، فهو ليس تدبيجا، لأنه لم يقترن بغيره.

4– إيهام التضاد:

من أنواع الطباق ما سماه البلاغيون "إيهام التضاد" وهو ما يكون التقابل فيه بين الظاهر من مفهوم اللفظين، ولكن اللفظين في التأويل غير متقابلين.

من ذلك قول دعبل بن علي الخزاعي:

لا تعجبي يا سَلَمَ من رجل **** ضحك المشيب برأسه فبكى

بين (ضحك) و(بكى) على حسب الظاهر من مفهوم اللفظين تضاد وتقابل، لأن كلا منهما عكس الآخر، لكن (ضحك المشيب) ليس معناه الضحك الحقيقي، بل هو استعارة لظهور الشيب، فالمعنى الحقيقي للكلام عندئذ (ظهر الشيب برأسه فبكى) وهو ليس تضادا، بل يوهم بالتضاد. ولذلك سمي ما كان من هذا القبيل من الطباق "إيهام التضاد".

ومن هذا النوع قول القائل: "يموت الظالم فيحيا العدل". فبين لفظي (يموت، يحيا) على الظاهر تضاد، لكن الأمر ليس كذلك عند التحقيق، لأن (حياة العدل) معنى مجازي، فهو استعارة لـ (ظهور العدل). ففي الكلام إيهام التضاد، وليس تضادا.

5– مراعاة النظير: [1]

ويسمى كذلك التناسب، والائتلاف، والتوفيق. وهو "أن يجمع في الكلام بين أمر وما يناسبه لا بالتضاد". أي أن يؤتي المتكلم بألفاظ بينها ائتلاف ومناسبة ومؤاخاه، وليست متباعدة متنابذة. كما في قوله تعالى: الشمس والقمر بحسبان (الرحمن/5). بين (الشمس) و(القمر) تناسب، فهما من عالم الأجرام السماوية.

[1]– وليد ابراهيم قصاب: سلسلة البلاغة العربية علم البديع، المرجع السابق، ص137-171.

وكـذا قولـه تعـالى: ﴿وهـو السـميع البصـير﴾ (الشـورى/11). فالسـمع والبصـر متناسـبان، متناظران، لأنهما من عالم الحواس

ومراعاة النظير أسلوب جمالي، لأنه ضرب من تلاحم الكلام وتراكبه، وعدم تنافر أجزائه أو ألفاظه.

وعكس مراعاة النظير التنافر وعدم تناسب الألفاظ مع المعاني ولذلك عيب على الكميت قوله:

وقـــد رأينـــا بهـــا حـــورا منعمـــة **** بيضـا تكامـل فيهـا الـدَّلُّ والشَّـنَبُ[1]

لأنه لم يراع النظير بين الألفاظ، و(الدل) لا يناسب (الشنب)، لأن الشنب من لوازم الثغر، فلو ذكر معه اللمس - سوداني الشفة- لكان أنسب.

6- تشابه الأطراف:

هو من مراعاة النظير، ومعناه أن يختم الكلام بما يناسب أوله، فهو كذلك ضرب من ضروب ترابط الكلام، والتحام حتى لا تنافرُ بين أوله وبين آخره، مما يجعل أطرافه متشاكلة متشابهة، غير متباعدة ولا متنافرة. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير﴾ (الأنعام/103). فإن اللطف يناسب ما لا يدرك بالبصر، والخبرة تناسب من يدرك شيئا، فإن من يدرك شيئا يكون خبيرا به، وهكذا ختم الكلام (اللطيف الخبير) التي تناسب أول الكلام.

7- الإرصاد:

ويسمى التسهيم والتمكين، وائتلاف القافية. وقد عرفه القزويني بقوله: "أن يجعل قبل العجز من الفقرة أو البيت ما يدل على العجز إذا عرف الروى".[2]

فالإرصاد أسلوب بديعي يدل على قوة سبك الكلام، وتلاحم أجزائه، بحيث أن أول الكلام يقود إلى أخره، وآخره يأتي في موضعه بشكل عفوي متفقا مع ما قبله.

---

[1]- الشنب: رقة وعذوبة في الأسنان. الدل: الدلال.

[2]- الإيضاح، القزويني: 422.

والذي سماه تسهيما قال في بيان هذه التسمية: "من تسهيم البرور، وهو أن ترى ترتيب الألوان فتعلم إذا أتى أحدها ما يكون بعده".[1]

الشواهد:

قال تعالى: ﴿وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾ (العنكبوت/40). فإن (يظلمون) هي موضع الإرصاد، فهي متوقعة قبل أن تذكر، لأن في صدر الكلام ما يدل عليها، فلا تغني كلمة عنها.

وقوله تعالى: ﴿وما كان الناس إلا أمة واحدة فاختلفوا ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم فيما فيه يختلفون﴾ (يونس/19). كلمة (مختلفون) في موضعها، يترصدها السامع قبل أن تنطق، لأن صدر الكلام يسوق إليها.

قال زهير في معلقته الميمية:

وقفت بها من بعد عشرين حجة **** فلَأْياً عرفت الدار بع (توهم)

فمن كان يعرف أن روي القصيدة حرف الميم ترقب كلمة (توهم) قبل أن تذكر، ففي الكلام ما يدل عليها، فالشاعر يقف على هذه الديار من بعد عشرين حجة، وقد تغيرت معالمها، مما يدل على أن معرفته لها تكون إلا عن ظن، أو حسبان، أو تخمين، أو (توهم) وسيتوقع المتلقي الأخيرة لأن الروي والوزن يتحققان بها.

8- المشاكلة:

المشاكلة -لغة- المماثلة والمشابهة.

واصطلاحا: "ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته تحقيقا أو تقديرا". ظلمني فلان فظلمته.

ففي المشاكلة لفظ مستعمل في غير موضعه، ولذلك عدها بعضهم من قبيل المجاز، وأدرجها في علم البيان[1]، لأن ذكر الشيء بلفظ غيره لا يكون حقيقة، وع بعضهم المشاكلة من باب التجنيس،

[1]- العمدة، لابن رشيق: 34/2.

لأن فيها لفظين متشابهين نطقا، ولكن أحدهما على غير معنى الآخر، والمشاكلة أولى هذه التسميات، وأكثرها شيوعا، وابعدها عن التأويل.

ومن أمثلة المشاكلة قوله تعالى: ﴿وجزاؤا سيئة سيئة مثلها﴾ (الشورى/40). فالسيئة الثانية لفظ في غير موضعه، لأن الرد على السيئة لا يسمى سيئة، بل هو قصاص وجزاء، ولكنه ذكر بهذا اللفظ لوقوعه في صحبة (سيئة) الأولى، مشاكلة لها.

وعند من عد هذا من قبيل المجاز المرسل، لأن (السيئة) الثانية لفظ مستعمل في غير معناه الحقيقي، فهو بمعنى الاقتصاص، وقد تجوز بلفظ السيئة عن الاقتصاص لأنه حسيب عنها.

ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿ومكروا ومكر الله﴾ (آل عمران/45). سمى الرد على مكرهم وإبطاله مكرا، وهو ليس كذلك، لأن المكر الحقيقي لا يجوز على الله تعالى، ولكن ورد بهذا اللفظ مشاكلا لفظ (مكروا) الذي وقع في صحبته، ولمكن حمله على المجاز المرسل كما تقدم في المثال السابق.

9- التورية:

وتسمى الإيهام أيضا. والتورية -لغة- الإخفاء والستر، وفي الاصطلاح: "أن يطلق لفظ له معنيان: قريب وبعيد، ويراد البعيد منهما".

فالتورية لون من البراعة في ستر المطلوب، والإيهام بغيره، وذلك لغاية يردها المتكلم. ولذلك يأتي المتكلم بلفظ مختار، له معنيان: معنى قريب يتبادر إلى الذهن للوهلة الأولى أنه مراد، ولكنه ليس كذلك. وبعيد هو المراد، ولكن المتكلم يوري عنه.

ومن التورية قول سراج الدين الوراق:

أصـــون أديم وجهـــي عـــن أنـــاس **** لقـــاء المـــوت عنـــدهم الأديـــب
ورب الشـــعر عنـــدهم بغـــيض **** ولـــو وافى بـــه لهـــم حبيـــب

---

(1)- أورد القزويني بعد أمثلتها في المجاز المرسل، وفي المشاكلة، الإيضاح: 400، 494، وعدها بعضهم من جناس المزاوجة، تحرير التحبير لابن أبي الإصبع: ص102.

الشـاعر يشـكو مـن قـوم لا يحبـون الشـعر ولا يتذوقونـه، وأنـه بغـيض غلـيهم ولـو أتـاهم بـه (حبيب) فلفظ (حبيب) تورية، لأن له معنيين: القريب المتبادر إلى الذهن هو المحبوب، ولكن التأمل يقود إلى أنه غير مطلوب، لأنه لا معنى له في سياق الكلام، فلا بد أن يكون المقصود به معنى أبعد **يقود به الكلام، وبالنظر يعرف أنه حبيب بن أوس، أبو تمام، الشاعر المشهور، ولكنه ورى عنه،** وحجبه بالمعنى القريب المتوهم.

نوعا التورية:

والتورية، بحسب اقترانها بما يناسب ركنيها: المورى به – المعني القريب والمورى منه- المعنى **البعيد-** من صفات وخصائص أو تجريدها من ذلك، نوعان هما:

1- **التوريـة المرشـحة:** وهـي الـتي اقترنـت بمـا يلائـم **المـورى بـه -القريـب-** مـن خصـائص أو صفات، كما في قوله تعالى: **والسماء بنيناها بأييد وإنا لموسعون** (الذاريات/47). التورية في لفـظ (أييـد) فهـو لفـظ لـه معنيـان: **القريب المورى** عنه وهـو جمع يـد، الجارحة المعروفة، والثاني البعيد المراد هو القيد، وقد اقترنت بالبناء (بنيناها) وهو مما يناسب المعنى **القريب (الأيدي) فهي تورية مرشحة.**

2- **التوريــة المجــردة:** وهــي الــتي لا يــذكر فيهــا شــيء مــن قــرائن المــورّى بــه. كمــا في قوله تعالى: الرحمان على العرش استوى **(طه/5).** التورية في لفظ (استوى) لأن الاستواء على معنيين، أحدهما قريب، وهو الاستقرار في المكان، وهو المورى به، **وليس** المراد، لعدم لياقة الاستقرار الحسي بالله تعالى. والمعنى الآخر الاستلاء بالقهر والغلبة، وهو المعنى البعيد المورى عنه، وقد خلت التورية مما يناسب المعنى القريب، فهي مجردة.

10- اللف والنشر:

وهو ذكر متعدد على جهة التفصيل أو الإجمال، ثم ذكر ما لكل واحد من غير تعيين، ثقة بأن السامع يرد كل واحد إلى ما يليق به.

وذكر متعدد على جهة التفصيل أو الإجمال هو اللف، كقولك (الليل والنهار) وذكر **ما لكل** واحد من التعدد من غير تعيين هو النشر، كأن تقول في إكمال العبارة السابقة: (للراحة والعمل) إذ تعود الراحة إلى الليل، والعمل إلى النهار.

وقد يكون النشر على غير ترتيب اللف، كما في العبارة السابقة (الليل والنهار للراحة **والعمل).**

وقد يكون النشر على غير **ترتيب اللف، كما لو نظمنا العبارة السابقة، فقلنا (الليل والنهار** للعمل والراحة) إذ أفردنا العمل وهو للنهار، قبل الراحة وهي لليل مخالفين عبارة اللف، أو على **خلاف ترتيبها.**

واللف قد يكون مفصلا: كالمثال السابق.

وقد يكون اللف مجملا: أي غير مفص إلى أجزائه التي يت**كون منها كقولنا مثلا: (الأجدان** للعمل والراحة) فـ (الأجدان) هما الليل والنهار، ولكنه جاء مجملا، وفطنة المخاطب ترجع العمل إلى النهار، والراحة إلى الليل ...

11- التقسيم:

التقسيم نوعان:

1- **النوع الأول:** هو يشبه اللف والنشر الذي تقدم في جانب ويفترق عنه في جانب آ**خر،** فهو كاللف والنشر من حيث إنه (ذكر متعدد ثم إضافة ما لكل إليه) ولكنه يفترق عنه في أن اللف والنشر يكون بلا تعين ما لكل جزء من أجزاء المتعدد، ثقة بفطنة السامع التي تربط بين كل وما يعود إليه، وأما التقسيم هو ذكر ما لكل من أجزاء المتعدد نصا **وتعيينا.**

قال المتنبي: **الرأي قبل شجاعة الشجعان** **** هـو أول، وهـي المحـل الثـاني ذكر متعددا (الرأي، الشجاعة) وأرجع على الرأي أنه أول في الاعتبار، وعلى الشجاعة أنها في المحل الثاني، وهو ذكر على سبيل التعيين الصريح، فهذا تقسيم.

2- **النوع الثاني**: وأما النوع الثاني **للتقسيم فتعريفه: (استيفاء أقسام الشيء بالذكر) أي أنه** يذكر المتكلم أمرا من الأمور، ثم يستوفي أجزاءه، أو عددا من أجزائه.

ومن أمثلة هذا التقسيم: قال تعالى: ﴿الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم﴾ (آل عمران/3-191). استيفاء أجزاء الشيء، فقد ذكرت الآية أقسام الهيئات جميعها: **القيام، والقعود، وعلى الجنوب.**

12- التجريد: للتجريد مفهومان:

- التجريد في اللغة هو الإزالة والانتزاع، يقال جردت السيف عن غمده، والرجل من ثيابه، **أو عن ثيابه.**

وقد يأتي التجريد في هذا الأسلوب خاليا من هذه الحروف، كأن يقول في رجل مكر. - إذا نظرت إلى فلان رأيت ثعلب. – **أو: يمر فلان فيمر ثعلب.** – أو يتطلع فلان فيُرى **الثعلب.**

- الثاني: والصورة الأخرى للتجريد هي مخاطبة الإنسان نفسه وكأنه يخاطب شخصا آخر –**أي ينتزع**- من نفسه مخاطبا. كقول عبد الله بن رواحة يشجع على القتال:

أقسمت يا نفس لتنزلنه ** طائعة، أو لا لتكرهنه**

13- المبالغة:

هي نوع من التزيد في وصف الشيء، حتى يبلغ أقصى غاياته، وأبعد نهاياته، والمبالغة درجات تبدأ من المعقول الممكن إلى المستحيل المستبعد.

وهي بحسب درجة الصفة فيها ثلاثة أنواع:

أ- **التبليغ:** وهو أن يدعى لأمر صفة زائدة فيه، ولكنه غير ممتنعة عقلا ولا عادة، كقولك: (**فلان** يغلب خمسة رجال) فهذه مبالغة في وصف فلان بالشجاعة والقوة.

ب- **الإغراق:** هو أبعد درجة من التبليغ، فهو يزيد في الصفة، وإفراط فيها، ولذا كان تعريف **الإغراق "أن يدعي لأمر صفة زائدة فيه، ممكنة عقلا، ممتنعة عادة".**

كقول عمرو بن الإيهم التغلبي: ونكرم جارنا ما دام فينا **** ونتبعه الكرامة حيث مالا

الشاعر في مقام الفخر، فحمله ذلك على المبالغة في الوصف.

ح- **الغلو**: وهو أقصى درجات المبالغة، ومعناه "أن يدعى لموصوف صفة يستحيل وجودها فيه عقلا وعادة، لأنها صفة زائدة يرفض تصورها العقل. وقد ذكر البلاغيون أن النوعين الأولين، وهما التبليغ والإغراق مقبولان، وأما الغلو فهو مرفوض؛ وذلك لمجاوزته المقدار، وخروجه عن حد المنطق والعرف".

فمن قبيل تقريب الغلو من الحقيقة استعمال بعض الألفاظ، مثل (كاد، أوشك، لو، لولا، قد) وما شاكل ذلك مما يمكن أن يدل على التقريب. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار﴾ (النور/35).

14- المذهب الكلامي:

تعريفه: "أن يورد المتكلم حجة لما يدعيه على طريقة أهل الكلام" فهو نوع من الحجاج العقلي وإثبات الأصول بالبراهين والدلة المنطقية ولذلك سماه بعضهم المحاجة. [1]

فسموه (المذهب الكلامي) أي أسلوب الكلامي في الاحتجاج لما يدعيه المتكلم في أمر من الأمور أو مسألة من المسائل.

ومن أمثلة هذا المذهب: قوله تعالى: ﴿لو كان فيهما ءالهة إلا الله لفسدتا﴾ (الأنبياء/22). قدمت الآية دليلا عقليا على وحدانية الله عز وجل، إذ لو كان في السماوات والأرض آلهة إلا الله لفسدتا بسبب اختلاف آراء الآلهة، وطغيان واحد على الآخر.

15- حسن التعليل:

"**حسن** التعليل أن يدعي لوصف علة مناسبة له باعتبار لطيف غير حقيقي" أي أن يعلل القائل أمرا من الأمور تقليلا غيلا حقيقي. كأنه ينكر العلة الحقيقية المعروفة، ويأتي بعلة أخرى أدبية طريفة، لها اعتبار لطيف يناسب الغرض الذي يرمي إليه.

[1]- الإشارات والتنبيهات: 280.

كقول ابن هرمة: أحب الليل أن خـيال سلمـى **** إذا نـمنا ألـم بـنا فـــزازا

16- تأكيد المدح بما يشبه الذم:

هو مدح ظاهره ذم، أو يشبه الذم، ويأتي على شلكين:

- أن يذكر صفة ذم منفية ثم تستثنى منها صفة مدح كقولك: فلان لا عيب فيه إلا **الصدق.** فقد أتى في هذه الأمثلة بصفة ذم منفية (لا عيب) ثم استثنى منها صفة مدح (الصدق).
- وقد يأتي هذا النوع من تأكيد المدح بما يشبه الذم على شكل الاستثناء المفرغ: وهو ما حذف المستثنى منه كقولك: - لا يسوءني منه إلا الصراحة.

من أمثلة على هذا الأسلوب: قال تعالى: **﴿لا يسمعون فيها لغوا إلا سلاما﴾ (مريم/62).**

أتى بصفة الذم منفية، ثم استثنى منها صفة مدح وهي قول (السلام).

17- تأكيد الذم بما يشبه المدح:

وهو عكس النوع السابق، وإذا كان تأكيد المدح بما يشبه الذم للمبالغة في المديح، فإن تأكيد الذم **بما يشبه المدح على** النقيض، فهو أسلوب للمبالغة في الذم. يأتي على أسلوبين:

- الأول: "أن تأتي بصفة مدح منفية ثم تستثنى منها صفة ذم". كقولك: - فلان لا خير فيه إلا الكذب. أتى في هذه الأمثلة بصفة مدح نفية (لا خير) وهذا ذم، لأن نفي المدح ذم، ثم استثنى من هذا المدح المنفي صفة ذم أخرى، **وهي (الكذب).**
- الثاني: أن تأتي بصفة ذم، وتستثنى منها صفة ذم أخرى، كما في:

- الكافر جاحد لفضل الله سوى أنه ظالم لنفسه.

– الطالب كسول لكنه مهمل.

في هذا الأسلوب أتيت بصفتين ذم تذم فيها المتحدث عنه (جاحد لفضل الله- **كسول) أثبت له** –بأداة استثناء أو استدراك- **صفة** أخرى على خلاف ما كان متوقعا بعد هذه الأدوات.

قال تعالى: **﴿فلا صدق ولا صلى ولكن كذب وتولى﴾ (القيامة/31-32).**

18- أسلوب الحكيم:

هو أسلوب مبني على الحكمة في الخطاب، والتلطف في الوصول إلى الغاية بأسلوب غير مباشر، وقد سماه بعضهم القول بالموجب، وسماه الجاحظ اللغز في الجواب.

يأتي أسلوب حكيم على ضربين:

الأول: أن يفهم المتكلم كلام محدثه، ولكنه يتجاهله، وينصرف عنه فيجيبه عن شيء آخر. أي ترك سؤاله الأساسي وأجابه عن سؤال لم يسأله. مثل: كأن يسأل الطالب أستاذه:

- هل الامتحان صعب؟ فيجيبه قائلا: من جد وجد.

الثاني: أن يحمل المتكلم كلام المخاطب على غير وجهه المراد، أي يصرفه إلى غير ما قصد صاحبه، لينبهه على ما هو أولى بالقصد. قال تعالى: ﴿**يسئلونك عن الأهلة قل هي مواقيت** للناس والحج﴾ (**البقرة/189**). في الآية أسلوب الحكيم، فقد سأل الصحابة عن حال الهلال **يبدو** صغيرا ثم يكبر، ثم يعود صغيرا كما بدأ، فانصرف القرآن عن الإجابة عن التي سألوا عنها، وأجب بشيء آخر. قال لهم (هي مواقيت للناس والحج) أي أجابهم عن الحكمة من الهلال، ومن هذا لفت النظر إلى ما ينبغي أن يسألوا عنه. [1]

19- الالتفات:

للالتفات عدة مفاهيم، ولكن المفهوم الأعرف أنه نقل الكلام إلى أسلوب آخر، أي من المتكلم، أو الخطاب، أو الغيبة، إلى آخر منها بعد التعبير الأول، ومعنى هذا أن الكلام يكون جاريا بأسلوب الغيبة مثلا فينتقل إلى المخاطب أو المتكل أو العكس. ويشترط في الالتفات أن يكون الضمير في الملتفت عنه –**المنتقل عنه**- عائدا إلى الملتفت إليه كقوله تعالى: ﴿**الحمد لله رب العالمين** الرحمان الرحيم ملك يوم الدين إياك نعبد وإياك نستعين﴾ (**الفاتحة/2-5**).

---

[1]– الإتقان في علوم القرآن، السيوطي: 627/1.

وقال بعضهم الالتفات من مباحث علم المعاني[1]، لأنه يتعلق بالإسناد.

أشكال الالتفات هي:

- الالتفات من الغيبة إلى الخطاب: كما في المثال السابق.
- الالتفات من الخطاب إلى الغيبة: كقوله تعالى: ﴿حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم (يونس/22). كان في ضمير الخطاب (كنتم) ثم انتقل إلى الغائب، فقال: (وجرين بهم) ولم يقل (بكم).
- الالتفات من الغيبة إلى المتكلم: قال تعالى: فقضاهن سبع سماوات في يومين وأوحى في كل سماء أمرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح (فصلت/12). كان آخذا في ضمير الغائب (قضاهن، أوحى) ثم التفت إلى ضمير المتكل (زينا).
- الالتفات من المتكلم إلى الغيبة: كقوله تعالى: إنا كنا مرسلين رحمة من ربك إنه هو السميع العليم (الدخان/5-6). كان الكلام بضمير المتكلم (إنا كنا) ثم انتقل إلى ضمير الغائب (رحمة من ربك إنه هو ...) ولم يقل رحمة منا.
- الالتفات من الخطاب إلى المتكلم: كقوله تعالى: قل الله أسرع مكرا إن رسلنا يكتبون ما تمكرون (يونس/21). قال بعضهم إن هذا النوع من الالتفات لم يقع في كتاب الله تعالى.[2]
- الالتفات من المتكلم إلى المخاطب: كقوله تعالى: وما لي لا أعبد الذي فطرني وإليه ترجعون (يس/22). كان الحديث بضمير المتكلم (مالي، أعبد) ثم انتقل إلى المخاطب (ترجعون) ولو لم يكن في الكلام التفات لقال (وإليه أرجع).

بلاغة الالتفات:

الالتفات أسلوب بلاغي يستعمل للتفنن في الكلام، والانتقال من أسلوب إلى أسلوب، نظرية لنشاط السامع، وإيقاظا للإصغاء إليه، ولفتا للنظر إلى أمر من الأمور.

---

[1]– الإيضاح للقزويني: 157.

[2]– الإتقان في علوم القرآن، السيوطي: 903/2.

الالتفات في القرآن الكريم: الالتفات كثير في كتاب الله تعالى، وهو فيه أسلوب بلاغي متميز يستعمل لفائدة عامة.

وقد ورد الالتفات في القرآن الكريم لأغراض خاصة جليلة منها:

- حث السامع وبعثه على الاستماع، حيث أقبل المتكلم عليه.
- تعميم الخطاب، بأن يفهم السامع أن هذا نمط المتكلم وقصده من السامع.
- التعظيم: كما في قوله تعالى: ﴿إنا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله﴾ (الفتح/1-2).
- **إقامة** الغائب للحاضر الشاهد المتكلم لاستحضار الهيبة، والاشعار بالقرب كقوله تعالى: ﴿وقالوا اتخذ الله الرحمان لقد جئتم شيئا إدا﴾ (مرمي/88-89). **عدَل عن** الغيبة (قالوا) إلى الخطاب (جئتم) للدلالة على أن قاتل مثل قولهم ينبغي أن يكون موبِّخاً، ومنكرا عليه.

20- التضمين:

أن يضمن الشاعر في شعره شيئا من نظم غيره، أو من النثر، أو الحكم المأثورة، والشرط أن يكون المضمَّنُ مشهورا، أو مشارا إليه، وهو يشبه الاقتباس إذ يتفقان في الطريقة والغاية ويختلفان في المادة المأخوذة.

قد يضمن الشاعر بيتا كاملا لغيره. مثل:

إن الكرام إذا ما أيسروا ذكروا **** من كان يألفهم في المنزل الخشن

البيت لأبي تمام وقد ضمنه ابن العميد ليناسب ما هو فيه.

أنواع التضمين:

- **الاستعانة: وهي أن يكون المضمن بيتا أو أكثر.**
- **الإيداع أو الرفو: هو أن يكون المأخوذ مصراعا فما دونه. كقول الحريري:**

على أني سأنشد عند بيعي **** (أضاعوني وأي فتى أضاعوا)

ضمن الحريري شعره مصراعا من شعر أمية بن أبي الصلت.

بلاغـة التضـمين: للتضـمين بلاغتـه وجمالـه إذا اسـتعمل في موضـعه، ولم يتكلـف الشـاعر تكلفـا، أو يستكثر منه، وكان مناسبا للمقام الذي ورد فيه، وهو يشبه ما يسميه النقاد المحدثون (التناص).

21- الاقتباس:

أن يأخذ المتكلم شيئا من القرآن الكريم أو الحديث النبوي الشريف ويضمنه في كلامه، سواء أكان كلامه شعرا أم نثرا.

فمن الاقتباس بالقرآن في الشعر قول القائل:

سـتبقى لهـا في مضـمر القلـب والحشـا **** سـريرة ود (يـوم تبلـى السـرائر)

ضمن الشاعر الآية القرآنية (يوم تبلى السرائر) (الطارق/9).

الاقتباس من الحديث في الشعر قول الصاحب بن عباد:

قلت: دعني، وجهكِ الـ جنة حفَّت بالمكاره. فقد اقتبس من الحديث النبوي: ((حفت النار بالشهوات، وحفت الجنة بالمكاره)).

مكانة الاقتباس: الاقتباس نوعان:

- نوع لا يخرج به المقتبس عن معناه: أي يستعمل القائل ما أخذه في معناه، من غير تغيير، أو نقل لدلالة أخرى. كقول الحريري: (فلم يكن إلا كلمح البصر أو هو أقرب، حتى أنشد فأغرب). فإن الحريري أخذ الآية القرآنية: **وما أمر الساعة إلا كلمح البصر أو هو أقرب** (النحل/77). استعملها في معناها كناية عن شدة القرب.
- نوع يخرج فيه المقتبس عن معناه: أي يستعمل في معنى آخر يصلح له. كقول ابن الرومي:

لقـد نزلـت حاجـاتي **** (بـواد غـير ذي زرع)

فإن الشاعر كنى –بما اقتبسه من القرآن الكريم- **عن الرجل الذي** لا يرجى نفعه، والمراد به في الآية أرض مكة.

المحسنات اللفظية: [1]

كما هو ظاهر من اسمها بتحسين اللفظ وتجميله، وإكسابه ضربا من الإيقاع الموسيقي، أو الجرس الصوتي، وجعله أكثر تمكنا وانسجاما في موقعه مع ما حوله.

1– الجناس: ويسمى كذلك التجنيس والمجانسة **-لغة-** المماثلة والمشابهة، واصطلاحا "أن تتجانس الكلمتان في اللفظ وتختلفا في المعنى ويكون كل من اللفظين من باب الحقيقة، ولا يكون أحدهما حقيقة والآخر مجازا".

أنواع الجناس: ينقسم الجناس إلى قسمين رئيسيين هما:

أ– **الجناس التام:** وهو ما اتفق فيه اللفظان المتجانسان في **أربعة اشياء هي: عدد الحروف،** ونوعها، وترتيبها، وضبطها. كما في قوله تعالى: ﴿ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة﴾ **(الروم/55).** فتبين لفظي (ساعة) في الآية تجانس تام.

ب– **الجناس غير التام:** هو ألا يكون الاتفاق تاما بين كلمتين، أي أن يختلف واحد من الأمور الأربعة التي هي شرط الجناس التام. كما في قوله تعالى: ﴿**وهو ينهون عنه وينئون عنه**﴾ **(الأنعام/26). جانس بين** (ينوهون، وينئون) جناسا ناقصا لاختلاف اللفظين في حرف واحد، مع اتفاقهما في عدد الحروف.

ويلحق بالجناس الناقص شيئان:

- أن يجمع بين اللفظين المتشابهين الاشتقاق، كقوله تعالى: ﴿**فأقم وجهك للدين القيم**﴾ **(الروم/43)**. جانس بين (أقم) و(القيم) وهما مشتقان من مادة واحدة (قوم).

[1]– وليد ابراهيم قصاب: سلسلة البلاغة العربية علم البديع، المرجع السابق، ص34-129.

- أن يجمع بين اللفظين المتجانسين المشابهة، وهو ما يشبه الاشتقاق، ولكنه ليس باشتقاق، كما في قوله تعالى: ﴿وجنى الجنتين دان﴾ (الرحمن/54). جانس بين (جنى) و(الجنتين) وهما لفظان متشابهان في الحروف مما يوهم أنهما أصل اشتقاقي واحد.

بلاغـة الجنـاس: الجناس أسلوب بلاغي مؤثر إذا استعمل في موضعه المناسب من غير تكلف ولا تصنع، فهو تلوين في الكلام، وفيه نوع من الطرافة والبلاغة، تجذب المستمع وتشوقه.

2- رد العجز على الصدر:

تعريفه: أن تتكرر كلمتان متماثلتان: إحداهما في صدر الكلام، والأخرى في عجزه، وهذا اللفظان المكرران قو يكونان متماثلين في اللفظ والمعنى، أو بينهما جناس تماثل في اللفظ دون المعنى، وقد يجمع بينهما في التماثل الاشتقاق أو شبهه.

أولا: رد العجز على الصدر في النثر: يقع في اللفظان المتشابهان أحدهما في أول الفقرة، والثاني في آخرها. كما في الأمثلة التالية:

أ- قوله تعالى: ﴿وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه﴾ (الأحزاب/37). **جاءت كلمة** (تخشى) في أول الآية وآخرها، والكلمتان في الموضعين متشابهان لفظا ومعنى.

ب- وقولهم: (سائلَ اللئيم يرجع ودمعه سائلَ). جاء لفظ (سائل) مكرر في أول الفقرة وآخرها، ولكنه في كل موضع بمعنى، فبينهما جناس الأول من السؤال، والثاني من **السيلان.**

ت- وقوله تعالى: ﴿**استغفروا ربكم إنه كان غفارا**﴾ (نوح/10). جاء (استغفروا) في أول الآية، و(غفارا) في آخرها، وهذان لفظان جمع بينهما الاشتقاق، **فهما من جناس الاشتقاق.**

ثانيا: رد العجز على الصدر في الشعر

أما في الشعر فأن يكون أحد اللفظين المكررين في آخر البيت والثاني أول كلمة في الصدر، أو في وسط الصدر، أو في آخر الصدر، أو في أول الشطر الثاني.

مما وقع فيه المكرران في آخر البيت وأول الصدر: قول الشاعر:

إنســـان عيـــني مـــذ تنـــاءت دراكـــم **** مـــــا راقـــــه نظـــــر إلى إنســـــان

بلاغة رد العجز على الصدر: يشعر رد العجز على الصدر بترابط الكلام واستاقه، وأن بعضه آخذ برقاب بعض، وهو يكسب الكلام إيقاعا صوتيا وجرسا موسيقيا، وهو أسلوب جمالي إذا لم يكن متكلفا.

رد العجز على الصدر في القرآن الكريم:

- قال تعالى: ﴿**وحرم** عليكم صيد البر ما دمتم حرما﴾ **(المائدة/96).**
- قال تعالى: ﴿وأحسنوا إن الله يحب المحسنين﴾ **(البقرة/195).**
- وقال تعالى: ﴿وأقسطوا إن الله يحب المقسطين﴾ **(الحجرات/9).**

3- التصريع: جعل العروض مقفاة تقفية الضرب، أي التفعيلة الأخيرة في الشطر ا لثاني، فقد تستوي تفعيلة العروض والضرب في الرأي. ومنه قول امرئ القيس:

قفـا نبـكِ **مـن ذكـرى حبيـب ومنـزل** **** **بسـقط اللـوى بـين الـدخول فحومـل**

جمال التصريع: من الواضح التصريع يهيئ للكلام نوعا من الانسجام الموسيقي، **وضربا من التوازن والنغم.**

4- السجع: السجع أن تتفق نهايات الجمل في النثر على حرف واحد، وهو كالقافية في الشعر. ومن ذل قول النبي صلى الله عليه وسلم: ((رحم الله امرأ قال خيرا فغنم، أو سكت فسلم)). فقد انتهت الجملة الأولى بحرف الميم (غنم) والثانية مثلها (سلم).

جمـال السـجع: والسـجع في النثر كـالقوافي في الشـعر، فهـو لـون بلاغـي يكسـب الكـلام تنغيمـا وموسيقا، ويؤدي ما يؤديه الراوي في الشعر.

نماذج من (السجع- الفواصل) في القرآن الكريم:

- **السـجع المطـرف**: قـال تعـالى: ﴿مـالكم لا ترجـون لله وقـارا وقـد خلقكـم أطـوارا﴾ (نوح/13-4).
- **السجع المتوازي**: قال تعالى: ﴿قل هو الله أحد الله الصمد﴾ (الإخلاص/1-2).
- **السـجع المرصـع**: قـال تعـالى: ﴿إن الأبـرار لفـي نعـيم وإن الفجـار لفـي جحـيم﴾ (الانفطار/13-14).

5- التشطير: أو السجع المشطور. وهو خاص بالشعر، ومعناه أن يكون بيت الشعر مكونا من عدد من الجمل بينها سجع على طريقة النثر. قالت الخنساء:

حـامي الحقيقـة، محمـود الخليقـة، مهـ **** دِيُّ الطريقـة، نفـاع وضـرار

6- الموازنة: وتأتي في النثر والشعر، ومعناها أن تنتهي الفقرتان في النثر والمصراعان في الشعر، على كلمتين متوازيتين، أي متساويتين في الوزن، ولكنهما مختلفتان في الحرف، أي في التقفية.

كقوله تعالى: ﴿ونمارق مصفوفة وزرابي مبثوثة﴾ (الغاشية/15-16). انتهت الآية الأولى بلفظ (المبثوث) والثانية بلفظ (المنفوش) وهما لفظان متوازيان، على وزن (مفعول) ولكنهما مختلفان في الحرف.

قال الشاعر:

يـا فـارس الحـرف عنّـاني الـذي حـدثا **** هيجـت شـجوا بنفسـي كـان قـد سـكنا

هذه موازنة في الشعر، انتهى الشطر الأول بكلمة (حدثا) والشطر الثاني بكلمة (سكنا) وهما متفقان في الوزن، مختلفان في الحرف.

7- المماثلة: وتقع في النثر والشعر، ومعناها أن تأتي في الفقرة الأولى أو الشطر الأول بألفاظ ثم بما يقابلها أو يقابل أكثرها في الوزن في الفقرة الاثنية أو الشطر الثاني.

نمـاذج مـن المماثلـة: قـال تعـالى: ﴿وءاتيناهمـا الكتـاب المسـتبين وهيـدناهما الصـراط المسـتقيم﴾ (الصافات/117-118). قابـل بـين (الكتـاب) و(الصـراط) وبـين (المسـتبين) و(المسـتقيم) وهـي كلمات اتفقت في الوزن ولم تتفق في الحرف الأخير.

قال أبو تمام:

مهمـــا الـــوحش إلا أن هاتـــا أوانـــس **** قنـــا الخـــط إلا أن تلـــك ذوابـــل

8- لزوم ما لا يلزم:

سماه بعضهم (الالتزام)، وهو يقع في الشعر والنثر على السواء ومعناه "أن يلزم قبل حرف الراوي في الشعر، وقبل الفاصلة في النثر حرف أو أكثر".

- **في الشعر**: أن يكون قبل حرف الراوي الذي تنتهي عليه القصيدة. وتسمى باسمه حرف أو أكثر. كقل عبد الله بن الزبير الأسدي:

فـتَى غـير محجـوب الغـنى عـن صـديقه **** ولا مظهـر الشـكوى إذا النعـل زلـت

روي هـذه القصـيدة هـو (التـاء) وكـان يمكـن للشـاعر أن يكتفـي بـذلك، ولكـن ألـزم نفسـه ما ليس بلازم، فقد أتى قبل حرف الراوي بحرف آخر هو اللام المشددة.

- **في النثر**: أن يأتي قبل حرف الفاصلة، وهو الحرف الأخير الذي تنتهي به الجملة **المسجوعة**، حرف آخر أو حرفان. فكأن الكتاب يلزم نفسه ما ليس لازما في السجع، لأن العبارات المسجوعة يكتفي أن تنتهي بحرف. كما في قوله تعالى: ﴿إن أعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر إن شانئك هو الأبتر﴾ (الكوثر/1-3). فهذه سجع وفواصل الآيات انتهت بحرف واحد هو (الراء).

لزوم ما لا يلزم في القرآن الكريم: ورد هذا اللون البديعي في كتاب الله تعالى طَبْعياً واقعا في مكانه من غير اعتساف ولا تكلف، مؤديا للمعنى أحسن أداء.

ومـن أمثلتـه في القـرآن الكـريم: قـال تعـالى: ﴿فأمـا اليتـيم فـلا تقهـر وأمـا السـائل فـلا تنهـر﴾ (الضحى/9-10). التزم قبل حرف السجع (الراء) حرفا آخر هو (الهاء).

وقوله تعالى: ﴿**والطور وكتاب مسطور**﴾ **(الطور/1-2).** التزم قبل الحرف الأخير (الراء) حرفين آخرين هما (الطاء) و(الواو).

المبحث الثالث: علم البيان[1]

البيان معناه في اللغة، الكشف والإيضاح.

وفي اصطلاح البلغاء هو أصول وقواعد يعرف بها إيراد المعنى الواحد بطرق يختلف بعضها عن بعض في وضوح الدلالة على نفس ذلك المعنى (ولا بد من اعتبار المطابقة لمقتضى الحال دائما).

1- التشبيه: أول طريقة تدل عليه الطبيعة لبيان المعنى –وهو في اللغة التمثيل- **وعند علماء البيان مشاركة أمر لأمر** في معنى بأدوات معلومة- **كقوله** –العلم كالنور في الهداية **... فالعلم مشبه، والنور** مشبه به، والهداية وجه الشبه، والكاف أداة التشبيه، فحينئذ أركان التشبيه أربعة، مشبه، مشبه به (ويسميان طرفي التشبيه) ووجه الشبه وأداة التشبيه.

طرفا التشبيه: (المشبه والمشبه به)

أ- **إما** حسيان، أي مدركان بإحدى الحواس الظاهرة. نحو: أنت كالشمس في الضياء.

ب- وإما عقليان. أي مدركان بالعقل نحو: العلم كالحياة. ونحو: الضلال عن الحق كالعمى. ونحو: الجهل كالموت.

ت- وإما المشبه حسي والمشبه به عقلي. نحو: طبيب السوء كالموت.

ث- **وإما المشبه عقلي والمشبه به حسي.** نحو: العلم كالنور.

تقسيم طرفي التشبيه باعتبار الأفراد والتراكيب:

1- إما مفردان (مطلقان) نحو: ضوؤه كالشمس، أو مقيدان نحو: الساعي بغير طائل كالرّاقم على الماء، أو مختلفان نحو: ثغره كاللؤلؤ المنظوم.

---

[1]– أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ط1، 1422هـ/2002م، دار الآفاق العربية، القاهرة، ص197-207.

وإما مركبان تركيبا لم يمكن إفراد أجزائهما، كقوله:

كـــأن ســـهيلا والنجـــوم وراءه **** صـفوف صـلاة قـام فيهـا إمامهـا

إذا لو قلت كأن سهيلا إمام، وكأن النجوم صفوف صلاة، لذهبت فائدة التشبيه.

2- أو مركبان تركيبا إذا أفردت أجزاؤه زال المقصود من هيئة (المشبه به). ومنه قول المتنبي:

كـأن مثـار النقـع فـوق رؤوسـنا **** وأسـيا فنالیـل تهـاوي كواكبـه

فإنه شبه هيئة الغبار، وفيه السيوف مضطربة، بهيئة الليل وفيه الكواكب تتساقط في جهات مختلفة.

3- وإما مفرد بمركب كقول الخنساء:

أغـر أبلـج تـأتم الهـداة بـه **** كأنـه علـم في رأسـه نـار

4- وإما مركب بمفرد نحو: الماء المالح كالسم.

تقسيم طرفي التشبيه باعتبار تعددهما:

ينقسم طرفا التشبيه (المشبه والمشبه به) باعتبار تعددهما إلى أربعة أقسام هي: ملفوف، ومفروق، وتسوية، وجمع.

التشبيه الملفوف: هو جمع كل طرف منهما مع مثله، كجمع المشبه مع المشبه. والمشبه به مع المشبه به، بحيث يؤتى بالمشبهان أولا، ثم المشبهات بها ثانيا. كقوله:

ليـــل وبـــدر وغصـــن **** شـــعر ووجـــه وقـــدّ

وكقوله: تبسم وقطوب في ندى ووغى **** كالغيث والبرق تحت العارض البرد

التشبيه المفروق: هو جمع كل مشبه مع مشبه به كقوله:

النشـــر مســـك والوجـــوه دنـــا **** نـــير وأطـــراف الأكـــف عـــنم

تشبيه التشوية: هو أن يتعدد المشبه دون المشبه كقوله:

صـــــــدغ الحبيـــــــب وحـــــــالي **** كلاهمـــــــــــا كالليـــــــــــالي

وثغـــــــــــره في صـــــــــــفاء **** وأدمعـــــــــــى كـــــــــــاللالي

تشبيه الجمع: هو أن يتعدد المشبه به، دون المشبه. كقوله:

كأنمـــــا يبســـــم عـــــن لؤلـــــؤ **** منضّـــــد أو بـــــرد أو أُقـــــاَح[1]

سمي بتشبيه الجمع – للجمع فيه بين مشبهات بها ثلاث. (وهو الجوهر المعلوم) والبرد (وهو حب الغمام) والأقاح جمع أقحوان بضم الهمزة، وهو زهر نبت طيب الرائحة، حوله ورق أبيض، **ووسطه أصفر.**

ملخص القول في تقسيم طرفي التشبيه:

ينقسم التشبيه اعتبار طرفيه أولا إلى حسيين وعقليين ومختلفين فالحسيان يشتركان في:

- صفة مبصرة كتشبيه المرآة بالنهار في الإشراق.
- **أو صفة مسموعة** –كتشبيه انقاض الرحل بصوت الفراريج.
- أو في صفة مذوّقة **كتشبيه الفواكه الحلوة بالعسل.**
- أو في صفة ملموسة كتشبيه الجسم بالحرير في قول ذي الرُّمة:

لهـــا بشـــر مثـــل الحريـــر ومنطـــق **** **رخـــيم الحواشـــي لا هـــراء، ولا نـــذر**

- أو في صفة مشمومة كتشبيه الريحان بالمسك –والنكهة بالعنبر.

والعقليان: هما اللذان لم يدركا "هما ولا مادتهما" بإحدى الحواس **–كتشبيه السفر بالعذاب، والضلال عن الحق بالعمى.**

والمختلفان **–إما أن يكون المشبه عقليا والمشبه به حسيا. كتشبيه الغضب بالنار من التلظى والاشتعال.**

[1]– أي كأن المحبوبة يبتسم عن أسنان كاللؤلؤ المنظوم، أو كالبرد أو كالأقاح، فشبه الشاعر ثغر المحبوبة بثلاثة أشياء اللؤلؤ.

أدوات التشبيه:

أدوات التشبيه –هي ألفاظ تدل على معنى المشابهة، كالكاف، وكأنّ، ومثل، وشبه غيرها، مما يؤدي معنى التشبيه، كالمضاهاة والمحاكاة والمشابهة، والمماثلة ونحو، وكذا ما يشتق من لفظي (ماثل وشابه) أو ما يراد فهما في المعنى وقد تحذف نحو: اندفع الجيش اندفاع السبيل، أي كاندفاعه والأصل في –الكاف، ومثل، وبشبه هـ أن يليها المشبه به.[1] كقوله تعالى: ﴿**واضرب له مثل** الحياة الدنيا كما أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيما تذروه الرياح﴾.

والأصل في كأن، وشابه، وماثل –**وما يرادفها أن يليها المشبه كقوله:**

كـــأن الثريـــا راحـــة تشـــير الـــدجى **** **لتنظـــر الليـــل أم قـــد تعرضـــا**

وكأن تفيد التشبيه إذا كان خبرها جامدا، نحو: علي كأنه أسد، وتفيد الشك إذا كان خبرها مشتقا، نحو: كأنك فاهم، وكقوله:

كأنـــك مـــن كـــل النفـــوس مركـــب **** فأنـــت إلى كـــل النفـــوس حبيـــب

وقد يغني عن أداة التشبيه (فعلٌ) يدل عليه، ولا يعتبر أداة فإن كان **الفعل لليقين - أفاد قرب** المشابهة نحو قوله تعالى: ﴿فلما رأوه عارضا مستقبل أوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا﴾ (الآحقاف/24). **وإن كان الفعل للشك أفاد بُعدها** –نحو قوله تعالى: ﴿**إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا** منثورا﴾ (الإنسان/19).

وينقسم التشبيه باعتبار أداته إلى:

- **التشبيه المؤكد: وهو ما حذفت أداته.**
- **التشبيه المرسل: وهو ما ذكرت فيه الأداة.**
- التشبيه البليغ: وهو ما حذفت فيه أداة التشبيه ووجه الشبه.

[1]– وقد يليها غير المشبه به إذا كان التشبيه مركبا.

فوائد التشبيه: [1]

تعود فوائد التشبيه في أكثر المواضع إلى المشبه –**وهي بيان حاله- وذلك حينما يكون المشبه** غير معروف الصفة قبل التشبيه فيفيده التشبيه الوصف كقول الشاعر:

إذا قامـــــت لحاجتهـــــا تثنـــــت ** كـــأن عظامهـــا مـــن خيـــزران**

شبه عظامها بالخيزران بيانا لما فيها من اللين.

أو بيان إمكان حاله –وذلك حين يسند إليه أمر مستغرب لا تزولا غرابته إلا بذكر المشبه له كقوله:

ويـــلاه إن نظـــرت وإن هـــي أعرضـــت **** **وقـــع الســـهام ونـــزعهن ألـــيم**

شبه نظرها بوقع السهام، وإعراضها بنزعها: بيانا لإمكان إيلامها بهما جميعا.

أو بيان مقدار حالة قوةً وضعفاً. وذلك إذا كان المشبه معروف الصفة قبل التشبيه معرفة إجمالية، وكان التشبيه يبين مقدار هذه الصفة، كتشبيه الماء بالثلج في شدة البرودة، أو تقرير حالة في **نفس السامع بإبرازها فيما هي فيه** أظهر، كما إذا كان مت أسند إلى المشبه يحتاج إلى تشبيه **والإيضاح بالمثال كقوله:**

إن القلـــــوب إذا تنـــــافر ودهـــــا ** مثـــل الزجاجـــة كســـرها لا يجـــبر**

(شبه تنافر القلوب بكسر الزجاجة تشبيهاً لتعذر عودة القلوب إلى ما كانت عليه من الأنس **والمودة).**

أو بيان إمكان وجوده (وإنه ممكن الحصول) كقوله:

فـــإن تفـــق الأنـــام وأنـــت مـــنهم **** فـــإن المســـك بعـــض دم **الغـــزال**[2]

1- أي أنه لا استغراب في فوقاتك للأنام مع أنت واحد منهم، لأن لك نظيراً وهو المسك فإنه بعض دم الغزال.

---

[1]– أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، المرجع السابق، ص218-223.

[2]– أي أنه لا استغراب في فوقاتك للأنام مع أنت واحد منهم، لأن لك نظيرا وهو المسك فإنه بعض دم الغزال.

أو مدحه وتحسينه كقول الشاعر:

كأنـــك شمـــس والملـــوك كواكـــب **** **إذا طلعـــت** لم يبـــد مـــنهن كوكـــب

أو تشويهه و تقبيحه كقوله:

وإذا أشـــــار محـــــدثاً فكأنـــــه **** **قـــرد يقهقـــه أو عجـــوز تلطـــم**

أو استطرافه "أي عده طريفاً **حديثاً**" إما لإبراز في صورة الممتنع وإما لندور حضور المشبه به في النفس عند حضور المشبه. كقوله:

أنظـــر إليـــه كـــزورق مـــن فضـــة **** قـــد أثقلتـــه حمولـــة **عـــن** عنـــبر[1]

الحمولة ما يحمل فيه ويوضع- **والمقصد من** التشبيه وجود شيء أسود داخل أبيض.

تشبيه على غير طرفه الأصلية:

قد يورد التشبيه ضمنا من غير أن يصرح به ويجعل في صورة برهان من الحكم الذي أسند إليه المشبه كقول المتنبي:

مـــن يهـــن يســـهل الهـــوان عليـــه **** **مـــا الجـــرح بميـــت إيـــلام**

(أي أن الذي اعتاد الهوان يسهل الهوان عليه تحمله ولا يتألم له، وليس هذا **الادعاء باطلا،** لأن الميت إذا جرح لا يتألم).

وقد يعكس التشبيه، فيجعل المشبه مشبهاً به وبالعكس فتعود فائدته إلى المشبه **به لادعاء ان** المشبه أتم وأظهر من المشبه به في وجه الشبه ويسمى ذلك **بالتشبيه المقلوب أو المعكوس.** نحو: كأن ضوء النهار جبينه، ونحو: كأن الماء في الصفاء طباعه.

تقسيم التشبيه باعتبار الغرض إلى مقبول وإلى مردود:

ينقسم التشبيه باعتبار الغرض إلى حسن مقبول، وإلى قبيح مردود.

[1]– الحمولة ما يحمل فيه ويوضع –والمقصود من التشبيه وجود شيء أسود داخل أبيض.

1- فالحسن المقبول هو ما وفى بالأغراض السابقة، بأن يكون المشبه به أعرف من المشبه في وجه الشبه إذا كان الغرض بيان حال المشبه أو بيان المقدر.

2- والقبيح المردود: هو ما لم يف بالغرض المطلوب منه لعدم وجود وجه بين المشبه والمشبه به، أو مع وجوده لكنه بعيد.

بلاغة التشبيه:

تنشأ بلاغة التشبيه من أنه ينتقل بك من الشيء نفسه إلى شيء طريف يشبهه، أو صورة بارعة تمثله، وكلما كان هذا الانتقال بعيداً قليل الخطور بالبال، كان التشبيه أروع للنفس وأدعى إلى إعجابها واهتزازها.

المجاز وأنواعه: [1]

المجاز هو اللفظ المستعمل في غير ما وضع له لعلاقة مع قرينة دالة على عدم إرادة المعنى الأصلي، والعلاقة[2] بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي قد تكون المشابهة وقد تكون غيرها. فإذا كانت المشابهة فهو استعارة، وإلا فهو مجاز مرسل، والقرينة قد تكون لفظية، وقد تكون حالية، وينقسم إلى أربعة أقسام: مجاز مفرد مرسل، ومجاز مفرد بالاستعارة، ومجاز مركب مرسل، ومجاز مركب بالاستعارة.

المجاز المفرد المرسل:

المجاز المرسل هو الكلمة المستعملة قصدا في غير معناها الأصلي لملاحظة علاقة[3] غير المشابهة مع قرينة دالة على عدم إرادة المعني الأصلي، وله علاقات كثيرة أهمها:

1- **السببية:** هي كون الشيء المنقول عنه سببا ومؤثرا في غيره نحو: رعت الماشية الغيث: أي النبات، لأن الغيث أي المطر سبب فيه وقرينته لفظية وهي (رعت).

---

(1)– أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، المرجع السابق، ص231-236.

(2)– العلاقة هي المناسبة بين المعنى المنقول عنه والمنقول إليه. سميت بذلك لأن بها يتعلق ويرتبط المعنى الثاني بالأول فينتقل الذهن من الأول للثاني.

(3)– سمي مرسلا لا طلاقه عن التقييد بعلاقة واحدة مخصوصة، بل له علاقات كثيرة، واسم العلاقة يستفاد من وصف الكلمة التي تذكر في الجملة –وليس المقصد.

2- **المسببية**: هي أن المنقول عنه مسببا وأثرا لشيء آخر نحو: (وينزل لكم من السماء رزقا) أي مطرا يسبب الرزق.

3- **الكلية**: هي كون الشيء متضمنا للمقصود ولغيره نحو: ﴿**جعلوا أصابعهم** في ءاذانهم﴾ (نوح/07) أي أناملهم، والقرينة حالية ، وهي استحالة إدخال الأصبع في الأذن.

4- **الجزئيـة**: هي كون المذكور ضمن شيء آخر نحو: نشر الحاكم عيونه في المدينة، أي الجواسيس، فالعيون مجاز مرسل، علاقته الجزئية لأن كل عين جزء من جاسوسها –والقرينة الاستمالة. وكقوله تعالى: ﴿**فتحرير رقبة مؤمنة**﴾ (النساء/92).

5- **اللازميـة**: هو كون الشيء يجب وجوده عند وجود شيء آخر نحو: طلع الضوء، أي الشمس، فالضوء مجاز مرسل، علاقته اللازمية لأنه وجد عند وجود الشمس.

6- **الملزوميـة**: هي كون الشيء يجب عند وجوده وجود شيء آخر نحو: ملأت الشمس المكان، أي الضوء، فالشمس مجاز مرسل علاقته الملزومية، لأنها متى وجدت وجد الضوء، والقرينة (ملأت).

7- **الآليـة**: وهي كون الشيء واسطة لإيصال أثر شيء إلى آخر لقوله تعالى: ﴿واجعل لي لسان صدق في الآخرين﴾ (الشعراء/84). أي ذكر حسنا –فلسان بمعنى ذكر حسن- مجاز مرسل علاقته الآلية لأن اللسان آلة في الذكر الحسن.

8- **الإطـلاق**: هو كون الشيء مجردا من القيود. نحو: قوله تعالى: ﴿**فتحرير رقبة**﴾ (النساء/92)، أي عتق رقبة مؤمنة –فالرقبة مجاز مرسل، علاقته الاطلاق، فإن المراد منها المؤمنة. وإطلاق الرقبة على جميع الجسم مجاز مرسل علاقته الجزئية.

9- **التقيـد**: هو كون الشيء مقيد بقيد أو أكثر. نحو: ما أغلظ جحفلة زيد. أي شفته، فجحفلة زيد مجاز مرسل، علاقته التقيد، لأنها مقيدة بشفة الفرس.

10- **العمـوم**: هي كون الشيء شاملا لكثير، نحو قوله تعالى: ﴿أن يحسدون الناس﴾ (النساء/54). أي أن (النبي) -صلى الله عليه وسلم- فالناس مجاز مرسل علاقته العموم.

11- **الخصـوص**: هو كون اللفظ خاصا بشيء واحد كإطلاق اسم الشخص على القبيلة. نحو: ربيعة –وقريش.

12- **اعتبار ما كان:** هو النظر إلى الماضي نحو قوله تعالى: ﴿وءاتوا اليتامى أموالهم﴾ **أي الذين** كانوا يتامى ثم بلغوا فاليتامى **مجاز مرسل علاقته اعتبار ما كان.**

13- **اعتبار ما يكون:** هو النظر إلى المستقبل. نحو: طحنت خبزا أي حبا يؤول أمره إلى أن يكون خبزا، فخبزا مجاز مرسل علاقته اعتبار ما يؤول إليه.

14- **الحاليـة:** هـي كـون الشـيء حـالا في غـيره نحـو قولـه تعـالى: ﴿ففـي رحمـة الله هـم فيهـا **خالدون**﴾. **المراد من** الرحمة الجنة التي تحل فيها الرحمة، فرحمة مجاز مرسل، علاقته الحالية، ومثله فلان جالس في سرير.

15- **المحلية:** هي كون الشيء يحل فيه غيره كقوله تعالى: ﴿**فليدع ناديه**﴾ **(العلق/17)**

16- **البدليـة:** هـي كـون الشـيء بـدلا عـن شـيء آخـر. كقولـه تعـالى: ﴿**فإذا قضيتم الصلاة**﴾ **(الجمعة/10). والمراد الأداء.**

17- **المبدلية:** هي كون الشيء مبدلا منه شيء آخر. نحو: أكلت دم زيد، أي ديته. فالدم مجاز مرسل علاقته المبدلية، لأن الدم مبدل عنه الدية.

18- **المجاورة:** هي كون الشيء مجاورا لشيء آخر. نحو: كلمت الجدار والعمود، أي الجالس بجوارهما، فالجدار والعمود مجازان مرسلان علاقتهما المجاورة.

19- **التعلق الاستفاقي: هو إقامة صيغة مام أخرى، وذلك:**

أ- كإطلاق الفاعل على المصدر في قوله تعالى: ﴿**ليس لوقتها كاذبة**﴾. **أي تكذيب.**

ب- كإطلاق المصدر على المفعول في قوله تعالى: ﴿**صنع الله الذي أتقن كل شيء**﴾. **أي مصنوعه.**

ج- كـإطلاق الفاعـل علـى المفعـول في قولـه تعـالى: ﴿**لا عاصـم اليـوم مـن أمـر الله**﴾. **أي لا معصوم.**

د- كإطلاق المفعول على الفاعل في قوله تعالى: ﴿**حجابا مستورا**﴾. **أي ساتر.**

المجاز المفرد بالاستعارة: [1]

الاستعارة في اللغة من قولهم، استعار المال **إذا طلبه عارية.**

وفي اصطلاح البيانيين، هي استعمال اللفظ في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة بين المعنى المنقول عنه والمعنى المستعمل فيه، مع قرينة صارفة عن إرادة المعنى الأصلي، والاستعارة ليست إلا تشبيها، لكنها أبلغ منه. [2]

كقولك: رأيت أسدا في المدرسة، فأصل هذه الاستعارة (رأيت رجى شجاعا كالأسد في المدرسة) فحذف المشبه (رجلا) والأداة الكاف ووجه التشبيه (الشجاعة) وألحقته بقرينة (المدرسة) لتدل على أنك تريد بالأسد شجاعا.

أركان الاستعارة ثلاثة:

- **استعارة منه – وهو المشبه به**
- **ومستعار له – وهو المشبه**

ويقال لهما الطرفان

- **ومستعار** – وهو اللفظ المنقول

تقسيم الاستعارة باعتبار ما يذكر من الطرفين:

إذا ذكر في الكلام لفظ المشبه به فقط فاستعارة تصريحية ومصرحة[3] نحو:

فـأمطرت لؤلـؤا مـن نـرجس وسـقت **** وردا وعضـت علـى العتـاب بـالبرد

وإذا ذكر في الكلام لفظ المشبه فقط، وحذف فيه المشبه به، وأشير إليه بذكر لازمة المسمى (تخييلا) فاستعارة مكنية أو بالكناية كقوله:

وإذا المنيـة أنشـبت أظافرهـا ** ألفيـت كـل تميمـة لا تنفـع**

---

[1]– أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، المرجع السابق، ص239-256.

[2]– فأصل الاستعارة تشبيه حذف أحد طرفيه ووجه شبه وأداته ولكنها أبلغ منه لأن التشبيه مهما تناهى في المبالغة فلا بد من ذكر المشبه والمشبه به.

[3]– معنى تصريحية أي مصرح فيها باللفظ الدال على المشبه به المراد به المشبه، ومعنى مكنية أي مخفي فيا لفظ المشبه به استغناء بذكر شيء من لوازمه.

الاستعارة باعتبار الطرفين:

إن كان المستعار له محققا حسا (بأن يكون اللفظ قد تقل إلى أمر معلوم يمكن أن يشار إليه إشارة حسية) أو كان المستعار له محققا عقلا (بأن يمكن أن ينص عليه ويشار غليه إشارة عقلية كقوله تعالى: ﴿**اهدنا الصراط المستقيم**﴾ **أي الدين الحق (فالاستعارة تحقيقية)**.

وإن لم يكن المستعار محققا لا حسا ولا عقلا (فالاستعارة تخييلية). [1]

الاستعارة باعتبار اللفظ المستعار:

إذا كان اللفظ المستعار (اسما جامدا لذات) كالبدر إذا استعير للجميل (أو اسما جامدا لمعنى) كالقتل إذا استعير للضرب الشديد سميت الاستعارة أصلية كقوله تعالى: ﴿**كتاب** أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور﴾[2]

وإذا كان اللفظ المستعار فعلا، أو اسم فعل، أو اسما مشتقا أو حرفا، أو اسما مبهما، فالاستعارة (تصريحية تبعية).

وإذا كان اللفظ اسما مشتقا، أو اسما مبهما، دون باقي أنواع التبعية المتقدمة فالاستعارة (تبعية **مكنية**).

تقسيم الاستعارة المصرحة باعتبار الطرفين إلى عنادية ووفاقية:

فالعنادية هي التي لا يمكن اجتماع طرفيها في شيء واحد لتنافيهما، والوفاقية هي التي يمكن اجتماع طرفيها في شيء واحد لعدم التنافي مثالهما.

قوله تعالى: ﴿أو من كان ميتا فأحييناه﴾ **(الأنعام/122)**. أي ضالا فهديناه ففي هذه الآية استعارتان: الأولى في قوله (ميتا) شبه الضلال بالموت بجامع ترتب نفى الانتفاع في كل واستعير الموت للضلال، واشتق من الموت بمعنى الضلال ميتا بمعنى ضالا –**وهي عنادية لأنه لا يمكن اجتماع الموت**

---

[1]–أن المذاهب في التخييلية أربعة: (الأول) مذهب السلف والخطيب وهو جميع أفراد قرينة المكنية مستعملة في حقيقتها. (الثاني) مذهب السكاكي وهو أن قرينة المكنية تارة تكون تخييلية وترة تكون تحقيقية أي مستعارة لأمر محقق. (الثالث) مذهب صاحب الكشاف وهو أنها تكون تارة تحقيقية أي مصرحة وتارة تكون تخييلية أي مجازا في الإثبات. (الرابع) مذهب صاحب السمرقندية وهو مثل مذهب صاحب الكشاف غير أن الفرق بينهما أن مدار الأقسام عند صاحب الكشاف على الشيوع وعدمه وعند صاحب السمرقندية على الإمكان وعدمه.

[2]– يقال في أجزاء الاستعارة في الآية الأولى شبهت الضلالة بالظلمة بجامع عدم الاهتداء في كل واستعير اللفظ الدال على المشبه به وهو الظلمة للمشبه وهو الضلالة على طريق الاستعارة التصريحية الأصلية.

والضـلال في شـيء واحـد والثانيـة، استعارة **الأحياء للهداية وهي وفاقية، لا مكـان اجتماع الأحياء** والهداية.

،العناديـة قـد تكـون تلميحيـة، أي المقصـود منهـا التلميـح والظرافـة وقـد تكـون تهكميـة، أي المقصود منها التهكم والاستهزاء بأن يستعمل اللفظ ضد معناه، نحو: رأيت أسد، تريد جبانا، قاصدا **التلميح والظرافة، أو** التهكم والسخرية: وهما اللتان نزل فيهما التضاد منزلة التناسب نحو: (فبشرهم بعذاب أليم) استعرت البشارة التي هي الخبر السار للأنذار في جنس **البشارة على سبيل التهكم** والسخرية.

تقسيم الاستعارة باعتبار الجامع:

الاستعارة المصرحة باعتبار الجامع نوعان:

1- **عامية: وهي** القريبة المبتذلة التي لا كنتها الألسن فلا تحتاج إلى بحث ويكون الجامع فيها ظاهرا، نحو: (رأيت أسدا يرمى).

2- **خاصية:** وهي الغريبة التي يكون الجامع فيها غامضا لا يدركه إلا أصحاب المدارك من الخواص. كقول كثير يمدح عبد العزيز بن مروان:

غمـر الـرداء إذا تبسـم ضـاحكا ** غلقـت لضـحكته رقـاب المـال**

تنقسم الاستعارة باعتبار ذكر (ملائم المستعار منه) أو اعتبار ذكر (ملائم المستعار له) إلى ثلاثة أقسام، مطلقة، ومرشحة، ومجردة.

أ- **المطلقـة:** وهـي الـتي لم تقـترن بملائـم أصـلا، نحـو: **(ينقضـون عهـد الله) أو ذكـر فيهـا** ملائمهما معا كقول زهير:

لـدى أسـد شـاكى السـلاح مقـذف ** لـــه لَبَـــدٌ أضـــافره لم تقلـــم**

استعار الأسد للرجل الشجاع، وقد ذكر ما يناسب المستعار له في قوله (شاكى السلاح مقذف) وهو التجريد، ثم ذكر ما يناسب المستعار منه في قوله (له لبد أضافره لم تقلم)

وهـو الترشيح، واجتمـاع التجريد والترشيح يـؤدي إلى تعارضـهما وان الاسـتعارة لم تقـترن بشيء وتكون في رتبة المطلقة.

ب- **المرشـــحة:** هـــي الـــتي قرنـــت بملائـــم المســـتعار منـــه (أي المشـــبه بـــه) نحـــو قوله تعالى: ﴿أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم﴾ (البقرة/16). استعير الشراء للاستبدال والاختيار، ثم فرع عليها ما يلائم المستعار منه من الربح والتجارة، ونحو: (من باع دينه بدنياه لم تربح تجارته)، "وسميت مرشحة لترشيحها وتقويتها بذكر الملائم".

ت- **المجردة:** وهي التي قربت بملائم المستعار له (أي المشبه) نحو: رأيت بحرا على فرس يعطي، فيعطي تجريد لأنه يناسب المستعار له الذي هو الرجل الكريم، (وسميت بذلك لتجريدها عن بعض المبالغة لبعد المشبه حينئذ عن المشبه به بعض بعد).

أن التشريح أبلغ من غيره لاشتماله على تحقيق المبالغة بتناسي الشبيه والإطلاق أبلغ من التجريد، فالتجريد أضعف الجميع.

المجاز المرسل المركب:

المجاز المرسل المركب هو الكلام المستعمل في غير المعنى الذي وضع له، لعلاقة غير المشابهة مع قرينة مانعة من إرادة معناه الأصلي –ويقع أولا في المركبات الخبرية المستعمل في الإنشاء وعكسه لأغراض كثيرة منها: التحسر وإظهار التأسف كما في قول الشاعر:

ذهـــب الصـــبا وتولـــت الأيـــام **** فعلـى الصـبا وعلـى الزمـان سـلام

فإنه وإن كان خبرا في أصل وضعه، إلا أنه في هذا المقام مستعمل في إنشاء التحسر والتحزن على ما فـــات مـــن الشـــباب وإظهـــار الســـرور نحـــو: (كتـــب اسمـــي بـــين النـــاجحين). ومنها الدعاء: نحو: نجّح الله مقاصدنا – أيها الوطن لك البقاء.

ثانيا في المركبات الإنشائية كالأمر والنهي والاستفهام التي خرجت عن معانيها الأصلية، واستعملت في معان أخرى كما في قوله عليه الصلاة والسلام: ((من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده

من النار)). إذ المراد (يتبوأ مقعده) والعلاقة في هذا السببية والمسببية لأن إنشاء المتكلم للعبارة سبب لاختباره بما يتضمنه، فظاهره أمر، ومعنا خبر.

المجاز المركب بالاستعارة التمثيلية:

المجاز المركب بالاستعارة التمثيلية هو تركيب استعمل في غير ما وضع له، لعلاقة المشابهة مع قرينة مانعة من إرادة معناه الأصلي، بحيث يكون كل من المشبه والمشبه به هيأة منتزعة من متعدد –وذلك بأن تشبه إحدى صورتين منتزعتين من أمرين أو أمور بأخرى ثم تدخل المشبه في **صورة المشبه** بها مبالغة في التشبيه، ويسمى بالاستعارة التمثيلية. [1]

بلاغة الاستعارة بجميع أنواعها:

بلاغتها من ناحية اللفظ أن تركيبها يدل على تناسي التشبيه، ويحملك عمدا على تخيل صورة جديدة تنسيك روعتها ما تضمنه الكلام من تشبيه خفي مستور.

الكناية:

لغة: ما يتكلم به الإنسان ويريد به غيره، وهي مصدر كنيت بكذا عن كذا إذا تركت التصريح به.

اصطلاحا: لفظ أطلق وأريد به لازم معناه مع قرينة لا تمنع من إرادة المعنى الأصلي.

نحو: (زيد طويل النجاد) تريد بهذا التركيب أنه شجاع عظيم.

فعَدَلت عن التصريح بهذه الصفة إلى الإشارة إليها والكناية عنه لأنه يلزم من طول جماله السيف طول صاحبه، ويلزم من طول الجسم الشجاعة عادة، فإذا المراد طول قامته وإن لم يكن له نجاد، ومع ذلك يصح أن يراد المعنى الحقيقي –ومن هنا يعلم أن الفرق بين الكناية والمجاز صحة إرادة لمعنى الأصلي في الكناية، دون المجاز فأنه ينافي ذلك ...

[1]– سميت تمثيلية مع أن التمثيل العام في كل استعارة للإشارة إلى عظم شأنها كأن غيرها ليس فيه تمثيلا أصلا، إذ هي مبنية على تشبيه التمثيل، ووجه الشبه فيه هيئة منتزعة من متعدد.

قـد تمتنـع إرادة المعـنى الأصـلي في الكنايـة لخصـوص الموضـوع. كقولـه تعـالى: ﴿**والسـماوات مطويات بيمينه**﴾، وكقوله تعالى: ﴿الرحمان على العرش استوى﴾ **كناية عن تمام القدرة وقوة التمكن والاستلاء.**

وتنقسم الكناية باعتبار المطلوب بها إلى ثلاثة أقسام، فأن المطلوب بها قد يكون صفة من الصفات، **وقد يكون موصوفا، وقد يكون نسبة.**

الأول الكناية التي يطلب بها صفة من الصفات نوعان:

1- **كناية قريبة:** وهي ما يكون الانتقال فيها إلى المطلوب بغير واسطة بين المعنى المنتقل عنه، والمعنى المنتقل غليه نحو: رفيع العـماد طويل النجا **** دسـاد عشيـرته أمـداداً

2- **كناية البعيد:** وهي ما يكون الانتقال فيها إلى المطلوب بواسطة أو بوسائط نحو: (فلان كثير الرماد) كناية عن المضياف، والوسائط هي الانتقال من كثرة الرماد إلى كثرة الضيوف، ومنها إلى المطلوب وهو المضياف الكريم.

الثاني الكناية التي يراد بها نسبة أمر لآخر إثباتا أو فيا، فيكون المكنى عنه نسبة نحو:

إن السـماحة والمـروءة والنـدى **** في قبـة ضـربت علـى ابـن الحشـرج

والكناية المطلوب بها نسبة، إما أن تكون ذا النشبة المذكور فيه كقول الشاعر:

ألـيمن يتّبـع ظلـه **** والمجـد يمشـي في ركابـه

وإما أن يكون غير مذكور كقولك: (خير الناس من ينفع الناس) الثالث –الكناية التي لا يراد بها **صفة ولا نسبة،** بل يكون المكني عنه موصوفا.

إما معنى واحد (كموطن الأسرار) كناية عن القلب وإما مجموع معان كقولك (جاءني حي مستوى القامة عريض الأظفار) (كناية عن الإنسان).

وتنقسم أيضا باعتبار الوسائط (اللوازم) والسياق إلى أربعة أقسام: تعريض، وتلويح، ورمز، **وإيماء.**

1- **التعريض**: لغة –خلاف التصريح.

اصطلاحا –هـو أن يطلق الكـلام ويشـار بـه إلى معـنى آخـر يفهـم مـن السـياق نحـو قولـك للمؤذى (المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده) تعريضا بنفي صفة الإسلام عن المؤذى.

2- **التلويح**: **لغة** –أن تشير إلى غيرك من بعدٍ.

واصطلاحا هو الذي كثرت وسائطه بلا تعريض **نحو**:

ومـــا يـــك فيَّ مـــن عيـــب فـــإني **** **جبـــان الكلـــب مهـــزول الفصـــيل**

كنى عن كرم الممدوح بكونه جبان الكلب مهزول الفصيل فإن الفكر ينتقل إلى جملة وسائط.

3- **الرمز**: **لغة** –أن تشير إلى قريب منك خفية بنحو شفة أو حاجب.

اصطلاحا هو الذي قلَّت وسائطه مع خفاء في اللزوم بلا تعريض نحو: (فلان عريض القفا) أو (عريض الوسادة) كناية عن بلادته، وبلاهته.

4- **الإيمـاء أو الإشـارة**: هـو الـذي قلَّـت وسـائطه مـع وضـوح اللـزوم بـلا تعـريض. كقـول الشاعر:

أو مـــا رأيـــت المجـــد ألقـــى رحلـــه **** في آل طلحـــــــة ثم لم يتحـــــــول

كناية عن كونهم أمجادا أجوادا بغاية **الوضوح**.

بلاغة الكناية:

الكناية مظهر من مظاهر البلاغة، وغاية لا يصل إليها إلا من لطف طبعه وصفت قريحته، والسر في بلاغتها أنها في صور كثيرة تعطيك الحقيقة مصحوبة بدليلها، والقضية وفي طيها برهانها.

أثر علم البيان في تأدية المعاني:

يظهـر مـن خـلال دراسـة علـم البيـان أن معـنى واحـدا يسـتطاع أداؤه بأسـاليب عـدة وطرائـق مختلفة، وأنه قد يوضع في صورة رائعة من صور التشبيه، أو الاستعارة، أو المجاز المرسل، أو العقلي، **او** الكناية.

الفصل الثاني

الفصل والوصل (دراسة بلاغية)

سورة الكهف أنموذجا

المبحث الأول: الفصل والوصل في اللغة والاصطلاح البلاغي.[1]

إن الدلالة اللغوية لكلمتي (الفصل والوصل) أسبق ظهورا من مدلولهما الاصطلاحي، وإذا ما أردنا التماس معنى الفصل والوصل لغة في المعجمات فلا بد من المرور بالمدلولات الحقيقية والمجازية الكثيرة التي دارت عليها مادتا (فصل) و(وصل)، للاهتداء إلى المعنى الأصلي لهما.

فالفصل لغة: مصدر الفعل فعل يفصل (بالكسر)، و(فصل) يكون "لازما وواقعا، وإذا كان واقعا فمصدره الفصل، وإذا كان لازما فمصدره الفصول".[2]

جاء في الصحاح: "فصلت الشيء فانفصل أي قطعته فانقطع وبابه ضرب".[3]

ومنه قوله تعالى: ﴿إنه لقول فصل﴾.[4]

وفي حديث ابن عمر: ((كانت الفيصل بيني وبينه)). أي القطيعة التامة، والفصل الفطام، قال تعالى: ﴿وحمله وفصاله ثلاثون شهرا﴾[5]، وقال تعالى: ﴿ولما فصلت العير﴾[6]، أي خرجت.

قال الزمخشري: "فصَّل الشاة تفصيلا، قطعها عضوا عضوا".[7]

والفصل عند النحاة من البصريين "ضمير رفع منفصل يقع بين المبتدأ أو الخبر أو ما أصله المبتدأ أو الخبر"[8]، كما في قوله تعالى: ﴿إن كان هذا هو الحق من عندك﴾.[9]

---

(1)– محمود عبد الله شكر: الفصل والوصل في القرآن الكريم، ط1، 2009، عمان دار دجلة، الأردن، ص19-49.

(2)– لسان العرب، مادة (فصل).

(3)– الصحاح، مادة (فصل).

(4)– سورة الطارق الآية: 13.

(5)– سورة الأحقاف الآية: 15.

(6)– سورة يوسف الآية: 94.

(7)– أساس البلاغة.

(8)– تاج العروس: 8، 59.

(9)– سورة الأنفال الآية: 32.

أما الوصل لغة: مصدر فعله: وصل – يصل – وصولا (من باب وعد) جاء في تاج العروس: "وصل الجبال وغيرها توصيلا وصل بعضها ببعض ...، واتصل الشيء بالشيء لم ينقطع، وليلة الوصل آخر ليالي الشهر لاتصالها بالشهر الآخر، وواصل الصيام مواصلة ووصالا إذا لم يفطر أياما تباعا، والتواصل ضد التصارم".[1]

وقال ابن منظور "الوصل ضد الهجران: وخلاف الفصل، وفي التنزيل العزيز ((ولقد وصلنا لهم القول))". [2]

وجاء في معجم المصطلحات: (وصل) هو في العروض العربي حرف اللين الناشئ من حركة الروي. [3]

الفصل والوصل في اصطلاح البلاغيين:

عندما سعى علماء البلاغة إلى تحديد مدلول لفظتي (الفصل والوصل) اصطلاحا، تأثروا إلى حد بعيد بما أدى به أصحاب المعجمات من معان لغوية لهاتين اللفظتين، ويتجلى تأثرهم هذا في توافق تعريفاتهم لهما في خطوطهما العامة، وإن اختلقت طرائق تعبيرهم تبعا لتباين اختصاصهم ونظرتهم إلى هذا النوع من التخصيص والتعميم، والتوسع في الباب والتضييق فيه، أو اختلاف فهمهم لبعض المصطلحات الواردة فيه، يبدو أن السكاكي (626هـ) هو أول من حاول وضع التعريف الاصطلاحي للفصل والوصل، حيث قال: "مدار الفصل والوصل، وترك العاطف وذكره".[4]

---

(1)– المعجم الوسيط: 691/2.

(2)– سورة القصص الآية: 51.

(3)– شرح أشعار الهذليين: 1، 46.

(4)– مفتاح العلوم: 108.

والذي نفهمه من عبارته هذه أنه لم يحصر الفصل والوصل بين الجمل فحسب، بل جعله يشمل المفردات أيضا، بدليل قوله في (المفتاح)، "أن تمييز موضع العطف من غير موضعه في الجمل ... هو الأصل في هذا الفن".[1]

وحد الخطيب القزويني (739هـ) الفصل والوصل بقوله: "الوصل عطف بعض الجمل على بعض والفصل تركه".[2]

وقال الطبي (743هـ) في تعريف الفصل والوصل: "هو ترك العاطف بين الجمل وذكره[3]، وهذا الحد يشبه تعريف السكاكي مع فارق هو أن الأخير قصر الفصل والوصل على الجمل دون المفردات، بينما السكاكي جعل التعريف بالعطف مطلقا"، ويعرف المراغي الفصل والوصل اصطلاحا بقوله: "... هو العلم بمواضع العطف أو الاستئناف أو التهدي إلى كيفية إيقاع حروف العطف في مواقعها أو تركها هند هدم الحاجة إليها".[4]

ويقول د. هادي الفضلي في حد الفصل: "هو الاستئناف بين الجملتين"[5]، وفي الوصل: "هو العطف بين جملتين للتشريك بينهما في الإعراب أو الحكم".[6]

وباب الوصل في البلاغة العربية يتمثل في باب العطف في النحو، والعطف المقصود هنا هو عطف النسق وليس عطف البيان.

---

(1)– مفتاح العلوم: 108.

(2)– الإيضاح في علوم البلاغة: 1: 246، شرح المختصر: 1: 227، المطول على التلخيص: 247، معجم مصطلحات بلاغية: 2: 652، بغية الإيضاح: 2: 62، عروس الأفراح وحاشية الدسوقي ومواهب الفتاح (ضمن شروح التلخيص)، 3:3.

(3)– التبيان في البيان للطيبي: 101.

(4)– علوم البلاغة: 167.

(5)– مختصر النحو: 231-232.

(6)– مختصر النحو: 231-232.

أما العطف اصطلاحا كما يعرفه ابن عصفور (679هـ): "هو حمل الاسم على الاسم، أو الفعل على الفعل، أو الجملة على الجملة، بشرط توسط حرف بينهما من الحروف الموضوعة لذلك".[1]

والمستخلص من هذا الحديث عن المفهوم الاصطلاحي للفصل والوصل عند القدماء والمتأخرين والمحدثين أن تعريفات البلاغيين المحدثين لهذا الباب أدق، وأكثر قربا من روح البلاغة العربية وتعلقا بها ن سابقيهم من البلاغيين لأنهم حاولوا التركيز على الوصل بالواو دون غيرها من حروف العطف، وبناء على هذا فإن التعريف الاصطلاحي لأسلوب الفصل والوصل هو أن "الوصل عطف جملة على أخرى بالواو، والفصل ترك هذا العطف".[2]

تطور دراسة أسلوب الفصل والوصل في البلاغة العربية:

لقد نشأت فنون البلاغة العربية ممتزجة مع بقية العلوم أول أمر، ومن ثم "أخذت الملاحظات البلاغية تتطور عند العصر الجاهلي وتنمو، وتأخذ طريقها في كتب اللغويين"[3]، أمثال سيبويه (180هـ) والفراء (207هـ) وأب عبيدة بن المثنى (207هـ) وعلماء الكلام: كالجاحظ (255هـ) والرماني (383هـ) والنقاد: كالآمدي (370هـ) والقاضي عبد العزيز الجرجاني (392هـ) وأبي الهلال العسكري (395هـ)، وغيرهم.

إن أسلوب الفصل والوصل بالمعنى الاصطلاحي الذي شاع في كتب المتأخرين من البلاغيين موضوع قديم في العربية، وذلك التحري الدقيق لأمهات كتب اللغة والأدب –على الرغم من كونه مجهدا– إلا أنه يؤكد أن لهذا الأسلوب جذورا وسوابق في هذه الكتب، فنجد إمام النحاة سيبويه في كتابه الشهير الذي يمزج فيه بحوث البلاغة بالنحو "يعرض لبعض الخصائص الأسلوبية التي عني بها

(1)– المقرب لابن عصفور: 1: 229.

(2)– البلاغة الواضحة: 23.

(3)– علم أساليب البيان: 78.

فيما بعد (علم المعاني) مثل: التقديم والتأخير والتعريف والتنكير والحذف"[1]، كما تحدث في مواضع من كتابه "عن لون بلاغي آخر هو الفصل والوصل كما تعرفه بصفة عامة أو شبه كمال الاتصال كما تعرفه بصفة خاصة"[2]، فسيبويه لم يذكر هذا المصطلح البلاغي لا باسمه ولا بموضوعاته فذلك لم يكن معهودا في زمنه، "وإنما عرف فيما بعد على يد الفراء، ولكن الذي ذكر سيبويه، هو ما يفيد شبه كمال الاتصال وإن لم يصرح باسمه".[3]

فمثلا في باب: بدل المعرفة من النكرة، والمعرفة من المعرفة، وقطع المعرفة من المعرفة مبتدئة أما بدل المعرفة من النكرة فقولك: (مررت برجلٍ عبد الله)، كأنه قيل له: بمن مررت؟ أو ظن أن يقال له ذاك، فأبدل مكانه ما هو أعرف منه ...

وتحدث في باب (ما لا يعمل في المعروف إلا مضمرا) عن هذا الأسلوب أيضا في تقدير السؤال والإجابة عنه، يقول: "أما قولهم، نعم الرجل عبد الله، وعبد الله نعم الرجل، كأنه قال: نعم الرجل، فقيل له: من هو؟ فقال عبد الله، وإذا قال: عبد الله فكأنه قيل له ما بشأنه؟ فقال: نعم الرجل".[4]

من هذا يتبين أن سيبويه قد ضمن الجملة الأولى سؤالا، وجعل الجملة الثانية جوابا لهذا السؤال المقدر، بل نص على أن الجملة الثانية استئناف، وهذا أحد مواضع الفصل، ويسمى هذا النوع (شبه كمال الاتصال) أو يسمونه (استئنافا).

وقد تناول سيبويه في كتابه أيضا "مسألة على جانب من الأهمية ... ويعنى بذلك ما يعبر عنها البلاغيون بكمال الانقطاع بين الجملتين إذا اختلفا خبرا وإنشاءً".[5]

---

[1]– المعاني في ضوء أساليب القرآن: 16-17.

[2]– أثر النحاة في البحث البلاغي: 96.

[3]– أثر النحاة في البحث البلاغي: 96.

[4]– الكتاب، سيبويه: 2: 173-176.

[5]– أثر النحاة في البحث البلاغي: 97.

وجاء بعد الفراء (207هـ) فعرض في كتابه (معاني القرآن) لموضوع الفصل والوصل وكان فيه أكثر وضوحا من سيبويه[1]، وأقرب إلى روح العلمية منه.

قد تناول الفراء الفصل والوصل ونص! على ذلك في أكثر من موضع، بل إن الآيات القرآنية تي لاحظ أنها تأتي على سبيل الانفصال قد دارت على ألسنة البلاغيين، وكتبهم مثل قوله تعالى: ﴿وإذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم إذ أنجاكم من ءال فرعون يسومونكم سوء العذاب ويذبحون أبناءكم﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿وإذ نجيناكم من ءال فرعون يسومونكم سوء العذاب يذبحون أبناءكم﴾[3]. فكلمة (يذبحون) جاءت مرة بالواو ومتصلة بما قبلها، وأخرى بدون الواو ومنفصلة عما قبلها ... فمعنى الواو أنه يمسهم العذاب غير التذبيح، كأنه قال: يعذبونكم بغير الذبح وبالذبح، ومعنى طرح الواو، كأنه تفسير لصفات العذاب، وإذا كان الخبر من العذاب أو الثواب مجملا في كلمة ثم فسرته فاجعله بغير الواو، وإذا كان أوله غير آخره فبالواو.

فمذهب الفراء في ذلك أن الجملة إذا كانت بيانا للأولى فإن الواو تطرح وهذا ما سماه البلاغيون كمال الاتصال "فالذبح هنا تفسير للعذاب وتوضيح له. ولا يقع حرف العطف بين التفسير والمفسر: أما إذا كان المراد بالكلام الثاني غير الأول يكون محل الوصل وتذكر الواو باعتبار أن الذبح شيء غير سوء العذاب".[4]

وقد استفاد المتأخرون من هذه الآية كشاهد على هذا الموضوع واستقوا كلامهم في التفسير الرائع لحديث الفراء عن الفصل والوصل. أما الجاحظ (ت255هـ) فقد اكتفى بنقل مصطلح الفصل والوصل من الفرس في معرض حديثه عن تعريف البلاغة لدى الاسم حين سئل أحدهم "ما البلاغة؟ قال: معرفة الفصل والوصل"[5]، إلا أن الجاحظ لم يعقب على هذا بالقول، ويبدو أن الجاحظ قد أغفل هذا الموضوع لأن علوم البلاغة كانت مختلطة مع علوم اللغة والأدب ولم تكن مفصولة عن

---

[1]– المعاني في ضوء أساليب القرآن: 310.

[2]– سورة ابراهيم الآية: 6.

[3]– سورة البقرة الآية: 49.

[4]– المعاني في ضوء أساليب القرآن: 309.

[5]– البيان والتبيين، الجاحظ: 1: 64. (ط دار الفكر للجميع).

بعضها، ولم يتم الفصل بين البلاغة وهذه العلوم إلا على يد عبد القادر الجرجاني والسكاكي (626هـ).

أما أبو هلال العسكري (395هـ) فقد ردد مصطلح الفصل والوصل في مطلع الفصل الخاص الذي عقده في (الصناعتين) لهذا الموضوع وسماه في ذكر المقاطع والقول في الفصل والوصل. وقد قصر العسكري كلامه في هذا الباب على تقصي ما يتصل بفصول القضية ومقاطعها.

وتظهر جليا أن دراسة أبي هلال وغيره من البلاغيين والنقاد القدامى تختلف عن دراسة البلاغيين المتأخرين لهذا الموضوع، والسبب في ذلك أن دراسة القدماء لأسلوب الفصل والوصل "تقترب من مصطلحات القراء وما يذكرونه في الوقف والفصل".[1]

وتلا هؤلاء شيخ البلاغة العربية ومؤسسها عبد القادر الجرجاني (471هـ) الذي يعد بحق واضع أصول بحث الفصل والوصل وثبت قواعده ذلك لأن له في هذا الباب خلقا وإبداعا لم يسبقه فيه سابق، "فبحث عبد القادر الجرجاني هذا الموضوع في (دلائل الإعجاز) بحثا منظما يقوم على التقسيم والتحديد والتعليل، وربطه بباب العطف بعد أن ربط البلاغة بمعاني النحو".[2]

أما الزمخشري (538هـ) في تفسير (الكشاف) فاستغل كل ما كتبه عبد القادر الجرجاني في الدلائل من قواعد الفصل والوصل بين الجمل بالواو، وقد فصل القوق فيه وضرب الأمثلة الكثيرة عليه، وهو لم يقصر هذا الباب على الجمل بل جعله يشمل المفردات أيضا.

ملخص: خلاصة مما سبق من الكلام إلى أن اهتمام أهل الفن البلاغي بموضوع الفصل والوصل وتعظيمهم إياه بسبب أن إدراك محاسن هذا الأسلوب ومعرفة أسراره وتمييز مواطن جماله إنما يرجع إلى الذوق.

---

[1]– البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري: 132.

[2]– المعاني في ضوء أساليب القرآن: 310-312.

بلاغة الوصل بالعطف:

الوصل يعني ضم أجزاء الكلام، وتشبث بعضها ببعض وعقد الصلة بين تلك الأجزاء فصلا ووصلا مع مراعاة الاتساق والانسجام والتعاقب والارتباط بينهما لبيان معنى كل مفردة وجملة وموقعها، وعلاقاتها بما قبلها، بوما بعدها، لأن الكلام بغير هذا الترتيب للأفكار، والتنظيم للعبارات، يكون مفككا ويصيبه الإرباك والتشتت فيصعب فهمه، ويزول جماله، وتتلاشى قيمته، ويسهل إنكاره لعدم إفادته المعنى، لذلك قال ابن سنان (466هـ) في سر الفصاحة: "أن الألفاظ غير مقصودة في نفسها، وإنما المقصود هو المعاني"[1]. فالألفاظ المتناثرة تبتعد عن النظام اللغوي، لأن اللغة ليست "في حقيقة أمرها إلا نظاما من الكلمات التي ارتبط بعضها بعض، ارتباطا وثيقا تحتمه قوانين معينة لكل لغة" [2]. ومن هذا يبرز دور الاتصال بين أجزاء الجمل.

وأطلق المعاينون على الربط بين الجمل وأجزائها مصطلح (الوصل) الذي حدد (بالعطف)، وهذا النوع من الوصل الذي يكون بحرف العطف واواً كانت أو غيرها، يسمى (الوصل الصريح)، لأن الربط بالحرف أحد أنو الربط اللفظي[3]، والربط اللفظي وسائله "لغوية محسوسة"[4] تشمل الأسماء والحروف ومنها حرف العطف، ولكن الوصل لا يقتصر على هذا الضرب فحسب، بل له ضرب آخر يسمى (الوصل بغير العطف) أو (القطع والاستئناف)، ومع أن العطف باب نحوي والوصل فن بلاغي إلا أنهما يمثلان نقطة التقاء بين هذين العلمين، فضلا عما قاله الباحث الغربي (بريستلي) فقد أطلق على وسائط الربط في نحو الضمائر والظروف والأسماء الموصولة والعطف (حروف الوصل)، أو (أدوات الوصل)، وقال حروف الوصل هي آخر ما يكتسبه الصبيان في تلقي اللغة، واستعداد الكهول للسيطرة عليها لا يكتمل إلا بعد تمرسهم باللغة، لذلك فالوصل والعطف لهما المعنى نفسه، والوظيفة اللغوية عينها، كلاهما وسيلة من وسائل الربط في العربية.

---

[1]– سر الفصاحة: 251.

[2]– من أسرار اللغة: 295.

[3]– الربط نوعان: الربط المعنوي: ووسائله الإسناد، كون الجملة نفس المبتدأ في المعنى: والربط اللفظي ووسائله: الربط بالاسم، والربط بالحرف.

[4]– الربط في الجملة العربية: 46.

وفي تحصيص ذلك قال ابن عقيل (769هـ) في شرحه على ألفية ابن مالك (672هـ) حروف العطف على قسمين: أحدهما ما يشرك بين المعطوف والمعطوف عليه مطلقا، أي لفظا وحكما، "وهي (الواو) و(ثم) و(الفاء) و(حتى) و(أو)، ... والثاني ما يشرك لفظا فقط"[1] دون الحكم، وهي (بل)، (لا)، (لكن)، أما عدد حروف العطف، فقد تباينت آراء النحاة، فذهب قوم منهم أنها عشرة حروف، وذهب قوم إلى أنها تسعة حروف بإسقاط (أما) منها، وقال أبو علي النحوي (377هـ)، إن حروف العطف تسعة (09) وتابعه في ذلك ابن الأنباري (577هـ) وقال ابن عصفور (669هـ) إن (أما) ليست بعاطفة في الحقيقة، وإنما ذكرت في الجملة لمصاحبتها لها[2]، وذهب قوم "أنها ثمانية (08) وأسقطوا منها (حتى)" [3]، ويرى ابن درستويه (347هـ) أن حروف العطف ثلاثة لا غير هي (الواو-الفاء-ثم) لأنها يشرّك بين ما بعدها وما قبلها في معنى الحديث والإعراب، ويشترط وجود الجهة الجامعة إنما هو في العطف بالواو فقط، لأن التشريك في حكم الإعراب موجود في جميع حروف العطف، ما عدا الواو منها ولها معان أخرى، تزيد على التشريك كالترتيب مع التعقيب في الفاء، والترتيب مع التراخي في ثم ... إلخ.

حالات الفصل والوصل في المفردات: [4]

لقد سار الشبكي في بحث هذا الموضوع على منهج الجمل، حينما توصل أو تفصل، متمشيا مع اصطلاح أهل الفن، لذلك قسم حالات الوصل والفصل في المفردات إلى أ قسام منها: [5]

الأول: أن يكون بين المفردين كمال الانقطاع بلا إيهام غير المراد، مثل (زيد عالم قائم)، فإنه لا جامع بين هذين الخبرين، إذ ليس معنى في (عالم قائم) إلا صلة واحدة هي الأخبار لمجموع هذه

---

[1]– شرح ابن عقيل: 2: 225، شرح التصريح: 2: 134-135، توضيح المقاصد: 3: 190-192.

[2]– المقرب لابن عصفور: 1: 229.

[3]– شرح المفصل لابن يعيش: 8: 89.

[4]– محمود عبد الله شكر: الفصل والوصل في القرآن الكريم، المرجع السابق، ص53-80.

[5]– عروس الأفراح: 3: 114، وما بعدها.

الصفات[1]، لذلك يفصل بينهما، ومثل ذلك الأعداد قبل تركيبها، في نحو: واحد، اثنان، ثلاثة، أربعة ... وحروف الهجاء ألف، باء، جيم، ففي هذه الأحوال يتعين الفصل.

الثاني: أن يكون بينهما كمال الانقطاع وفي الوصل إيهام غير المراد، مثل (ظننت زيدا ضاربا وعالما) فيجب العطف إذ لو لم يعطف لتوهم أن (عالما) معمول لـ (ضاربا).

الثالث: كمال الاتصال: بأن يكون الثاني توكيدا معنويا، أو لفظيا، أو عطف بيان، أو نعتا، أو بدلا عن الأول، في نحو: (جاء محمد نفسه)، أو (جاء محمد محمد)، أو جاء (محمد أبو عبد الله) أو (جاء محمد القائم) فلا يعطف شيء من ذلك لأنه كالشيء الواحد فلا يعطف الشيء على نفسه، أو يكون في معنى من هذه الأمور، كما في عطف الجمل وفصلها، أو يكون المردات شيء واحد، فمذهب جمهور النحاة "جواز تعدد الخبر لمبتدأ واحد"[2] سواء كان بالمفرد أم بالجملة أم بهما معا، لأن الخبر حكم ويجوز على الشيء الواحد بحكمين فأكثر.

وبعض الجمهور كذلك إلى جواز العطف وتركيبه، إذا كانت الأخبار مختلفة في اللفظ والمعنى، فيجوز أن نقول: (محمد كاتب وشاعر وفارس)، وكذلك (محمد كتب شاعر فارس)، أما إذا كانت الخبار متحدة في المعنى دون اللفظ، فيترك العطف، في نحو قولنا (الرمان حلو حامض) فالخبر واحد وإن تعدد اللفظ.

الرابع: شبه كمال الانقطاع: بأن يكون المفرد الأول حكم لا يقصد إعطاؤه للثاني، نحو: (محمد مجيب أن قصد صالح)، إذا أردت الأخبار بأنه صالح مطلقا، فإن عطف (صالح) على (مجيب) يوهم بأن صالح أن قصد، لأن الشرط في أحد المتعاطفين شرط في الآخر سبب ذلك يعود إلى اشتراك المعطوف والمعطوف عليه في الحكم الإعرابي اللفظي والمعنوي، وترة يكون عطفه على المفرد قبله يوهم عطفه على غيره، نحو: (كان محمد مكرما خالدا قائما)، فلو قيل: (وقائما)، لأوهم أنه معطوف على (خالد) المفعول.

---

[1]– أسرار الفصل والوصل بين المفردات و الجمل: 78.

[2]– شرح جمل الزجاجي لابن عصفور: 1: 359-360، شرح التصريح: 1: 182.

الخامس: شبه كمال الاتصال، أو الاستئناف[1] في نحو: (هشام غضبان ناقص الحظ) كأن سائلا سأل: لم غضب؟ وهذا تقدير معنوي لا صناعي ولو كان صناعيا لدخل في موضوع وصل الجمل.

السادس: أن يكون بينهما التوسط من كمال الانقطاع وكمال الاتصال، مثل: (محمد معط مانع)، على أن يكونا خبرين، فإذا أريد جعل الثاني صفة تعيين الوصل، جرى في التعبير القرآني الرائع ألا يعطف بعض الصفات على بعض إلا مع قلة كقولنا: (مررت بمحمد الكريم المؤدب الفاضل)، إنما قل العطف فيها، لأن الصفة جارية مجرى الموصوف.[2]

أو أن الصفة هي الموصوف في المعنى، ولا يجوز كذلك أن تقول (جاءني محمد والعاقل) على أن العاقل هو محمد، لأنه يستحيل أن يعطف الشيء على نفسه، وجاء قليلا عطف بعضها على بعض باعتبار المعاني الدالة عليها، ولهذا يحوز أن تقول: (مررت بمحمد الكريم والعاقل والعالم)، كأنك تقول (مرت بشخص اجتمعت فيه صفات الكرم والعقل والعلم).

وعلى هذا الأساس ورد قول الشاعر:

إلى الملـــك القـــرم وابـــن الهمـــام **** وليـــت الكتيبـــة في المـــزدحم

ويقول العَلَوِ (739هـ)، "فأما الأوصاف الجارية على الله تعالى فقلما تأتي فيها العطف، وما :اك إلا أنها أسماء دالة على الذات باعتبار هذه الخصائص لها، ولهذا السبب فإنه هذه الأوصاف تجري مجرى الأسماء المترادفة، فلا يعطف بعضها على بعض إلا إذا كان تضاد بينها"[3]، ويرى مصداق ذلك قوله تعالى: ﴿هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون هو الله الخالق البارئ المصور له السماء الحسنى﴾.[4]

فالذي نحصل عليه في هذه الآية الكريمة أن الله سبحانه وتعالى قد راعى الدقة التامة في تعبيره، فحذف حرف العطف في الألفاظ الواقعة على ذات واحدة للدلالة على اتحاد الوصف

---

(1)– الإيضاح في علوم البلاغة: 1: 255.

(2)– الطراز: 2: 34.

(3)– المعاني في ضوء أساليب القرآن: 314.

(4)– سورة الحشر الآيات: 23-24.

بمدلولها. لكون هذه الأوصاف ملتئمة متناسبة يجمعها كونها من الصفات الفعلية وأن الموصوف بالملك وهو الله تعالى ليس إلا الله سبحانه وتعالى الموصوف، بالقوس والسلام ... الخ.

ربط المفردات والجمل: يقصد بالربط بين المفردات والجمل، عطف الاسم على الفعل وبالعكس، وذهب أكثر النحاة "إلى جواز عطف الفعل على الاسم، وعطف الاسم على الفعل، إذا كان كل منهما في تقدير الآخر" [1]، أي بشرط تقارب المعنى بينهما، ورد في التنزيل العزيز: ﴿أولم يروا إلى الطير فوقهم صافات ويقبضن﴾ [2]، فقد عطف الفعل على الاسم لما كان في معناه.[3]

ومذهب ابن مالك القول بالجواز أيضا، قال في الألفية:

واعطف على اسم شبه فعل فعلا * * * * وعكسا استعمل تجده سهلا

وقال ابن عقيل في شرح هذا البيت: "يجوز أن يعطف الفعل على الاسم المشبه للفعل، كاسم فاعل، ونحوه، ويجوز أيضا عكس هذا، وهو أن يعطف على الفعل الواقع موقع الاسم باسم"[4] فمن الأول قوله جل جلاله: ﴿فالمغيرات صبحا فأثرن به نقعا﴾ [5]، وقالوا أبو حيان الأندلسي (745هـ): "ومثل هذا العطف فصيح وعكسه أيضا جاز، إلا عند السهيلي فإنه قبيح".[6]

ومن الثاني قول الشاعر:

فألقيته يوما يبير عدوَّهُ * * * * ومجرِ عطاءً يستحق المعابرا

---

[1]– عروس الأفراح ضمن شروح التلخيص: 3، 185 .

[2]– سورة الحشر الآية: 19.

[3]– البحر المحيط: 8، 302.

[4]– شرح ابن عقيل: 2، 244.

[5]– سورة العاديات الآيات: 3-4.

[6]– البحر المحيط: 8، 302.

عطف الشاعر قوله (مجر) وهو اسم يشبه الفعل لأنه (اسم فاعل)، على الفعل (يبير)، والمسوغ لذلك هو أن (يبير) واقع موقع الاسم ويقدر بـ (مبير) "فأصبح من قبيل عطف الاسم على الاسم".[1]

وقال السهيلي (581هـ) "يحسن عطف الاسم على الفعل ويقبح عكسه"[2] أي يقبح عطف الفعل على الاسم، وجوزه الزجاج (316هـ) كعطف الفعل على الاسم والأكثرون على الجواز، "كما جوز ذلك ابن الشجري (542هـ) في أماليه[3]، لكن السيوطي (911هـ) نقل عن المازني (249هـ) والمبرد (285هـ)، والزّجاج منعهم عطف الاسم على الفعل".[4]

يقول المبرد "اعلم أنك لا تعطف اسما على اسم ولا فعلا على فعل في موضع من العربية إلا كان مثله".[5]

أما ابن السراج (317هـ) فقد قال: "وعطف الاسم على الفعل عندي قبيح، لأن العطف أخو التثنية فكما لا يجوز أن ينضم فعل إلى اسم في تثنية كذلك لا يجوز العطف"[6]، كما ذهب إلى أنه لا يجوز أن تعطف الأفعال على الأسماء واشترط لجوازه إضمار (أنْ)، متابعا في هذا المذهب، إمام الناحة (سيبويه) –رحمه الله– الذي استشهد على ذلك بقول الشاعرة:

للـــبس عبـــاءة وتقـــرَّ عيـــني * * * * أحـــب إلي مـــن لـــبس الشـــفوف[7]

وقال سيبويه: لما لم يستقم أن تحمل (وتقر) وهو فعل على (لبس) وهو اسم، لما تضمنته إلى الاسم.

---

(1)– المقاصد النحوية: 4: 176.

(2)– المدارس النحوية (شوقي ضيف): 300.

(3)– أمالي ابن الشجري: 2: 167، دراسات لأسلوب القرآن الكريم: 3: 548.

(4)– همع الهوامع: 5: 272.

(5)– المقتضب: 4: 387.

(6)– الأصول في النحو: 1: 184.

(7)– البيت: لميسون مجدل الكلبية، وهو من شواهد سيبويه: 3: 45.

أما ابن عصفور والرضي فقد جوزا عطف الاسم على الفعل شريطة أن يكون الفعل موضع الاسم[1]، ويبدو أن هذا هو الرأي المرجح، ورد في التنزيل ﴿إن الله فالق الحب والنوى يخرج الحي من الميت ومخرج الميت من الحي ذلكم الله فأنى توفكون﴾ [2]، وقدر الزمخشري عطف (مُخرج) على (فالق)، وقال الطبي لا يعطف اسم الفاعل على الفعل لإرادة استمرا التجدد في الأولى والثبات لورود الفعلية بيانا ولا يصلح هذا أن يكون بيانا. [3]

خلاصة: يستخلص مما سبق من الكلام عن هذه المسألة إلى أنه يجوز عطف الاسم على الفعل إذا كان مشبها له كأنّ اسم الفاعل ونحوه، ويجوز عطف الفعل على الاسم المشبه به، أي يشترط التقارب في المعنى بين المعطوف والمعطوف عليه وذلك لوروده في أفصح الكلام وهو القرآن الكريم والشعر العربي.

مواضع الوصل: [4]

إذا ترادفت الجمل في النص ووقع بعضها في أثر بعض فمن حقها أن توصل بينها وتربط بالواو لتكون منتظمة ومنسقة، ويتعين الوصل بين الجمل في ثلاثة مواضع.

الأول: أن يكون بين الجملتين كمال الانقطاع مع إيهام الفصل خلاف المقصود، في نحو: قول البلغاء (لا، وأيدك الله) ويطلق عليهم بعضهم "الوصل لدفع الإيهام"[5] وذلك إذا كانت الجملة ليس لها محل من الإعراب، ويقصد بكمال الانقطاع، أن تكون إحدى الجملتين خبرية والأخرى إنشائية، بحيث لو تم الفصل بينهما لأوهم هذا الفصل على عكس المعنى المقصود من الكلام، ولذلك يجب الوصل بينهما تفاديا لهذا الإيهام.

---

(1)– شرح جمل الزّجاجي لابن عصفور: 1: 248.

(2)– سورة الأنعام، الآية: 90.

(3)– التبيان في البيان: 113.

(4)– محمود عبد الله شكر: الفصل والوصل في القرآن الكريم، المرجع السابق، ص80-89.

(5)– دراسات في الأدب والنقد والبلاغة: 149.

من ذلك على سبيل المثال –تقول: (لا، وبارك الله فيك)، لمن سألك: هل تحتاج إلى مساعدتي؟، فتعطف الجملة الثانية (بارك الله فيك) التي هي جملة خبرية في اللفظ إنشائية في المعنى، والعبرة هنا في المعنى إذ لا قيمة للفظ حيث أريد به الدعاء للمخاطب – على الجملة الأولى، التي هي خبرية وقامت (لا) مقامها، لأن التقدير فيها (لا أحتاج إلى مساعدتك).

الثاني: التوسط بين الكمالين: "ومعناه كمال الانقطاع وكمال الاتصال"[1] ويقصد به اتفاق الجملتين خبرا، أو إنشاء، لفظا ومعنى، أو معنى فقط، مع وجود المناسبة التامة بينهما، ولم يكن هناك سبب يقتضي فصلهما، أي لا يوجد مانع من الوصل، وذلك "إذا كانت الجملة الأولى ليست لها محل من الإعراب، ويدخل ضمن هذه ثلاث حالات"[2]:

1- **اتفاق الجملتين في الخبرية لفظا ومعنى**: في نحو قوله تعالى: ﴿إن الأبرار لفي نعيم وإن الفجار لفي جحيم﴾ [3]، فالجملتان خبريتان لفظا ومعنى، والمناسبة بينهما واضحة، وهي أن الأبرار نقيض الفجار، والنعيم ضد الجحيم، ولذلك جاز الوصل بينهما بالعطف.
2- **اتفاق الجملتين في الإنشائية لفظا ومعنى**: ومثاله قوله تعالى: ﴿كلوا واشربوا ولا تسرفوا﴾ [4]، فإن الجمل الثلاث في هذه الآية إنشائية لفظا ومعنى، والجهة الجامعة موجودة فيها، إذ المسند إليه في كلها واحد، وبين المسند فيها تناسب لذلك جاز عطف بعضها على بعض.
3- **اتفاق الجملتين في الخبرية الإنشائية لفظا ومعنى**: ونعني بذلك أن تكون الجملتان متحدتين في الإسناد معنى فقط، وإن اختلفتا في اللفظ، والجملتان المتحدتان إسنادا في المعنى فقط ستة أقسام: [5]

---

[1]– معجم البلاغة العربية: 2، 942.

[2]– المعاني في ضوء أساليب القرآن: 319.

[3]– سورة الانفطار، الآية: 13-14.

[4]– سورة الأعراف، الآية: 13.

[5]– دراسات في الأدب والنقد والبلاغة: 150-151.

أ– أن تكون الجملتان خبريتين معنى، واللفظان إنشاءان، في نحو قولك: (ألم آمرك بالخير وألم آنهك عن الشر)، على معنى أمرتك بالخير، ونهيتك عن الشر، فهما خبريتان معنى وإنشائيتان لفظا.

ب– أن تكونا خبريتين معنى، ولفظ الأولى إنشاء، والثانية خبر، ومثاله قوله تعالى: ﴿ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب ألا يقولوا على الله إلا الحق ودرسوا ما فيه﴾[1]، فنرى في هذه الآية "أخذ عليهم ميثاق الكتاب، ودرسوا ما فيه"[2] وقد عطف درسوا ما فيه على قوله ألم يؤخذ وهذه الجملة وإن كانت إنشاء في اللفظ فهي خبر في المعنى، فهاتان الجملتان خبريتان معنى، فالأولى إنشاء لفظا، والثانية خبر لفظا.

ج– أن تكونا خبريتين معنى، ولفظ الأولى خبر، والثانية إنشاء، كقولك: (أمرتك الخير فافعل ما أمرت به).

هذه الحالات الثلاث إذا كانت الجملة المتحدة في الإسناد معنى خبرية، والحالات الثلاث الآتية إذا كانت الجملتان إنشائيتين معنى، وألفاظها مختلفة أو متفقة.

د– أن تكون الجملتان إنشائيتين معنى، واللفظان خبريان، ومثاله قوله تعالى: ﴿وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل لا تعبدون إلا الله وبالوالدين إحسانا﴾[3] قد عطف على قوله (لا تعبدون) وبين ذلك أن جملة (لا تعبدون) إنشائية معنى، لأن أخذ الميثاق يقتضي الأمر والنهي، وجملة (بالوالدين إحسانا) إنشائية معنى أيضا فيما لو قدرنا الفعل العامل في المقدر خبرا بمعنى الطلب، أي (وتحسنون إحسانا) على معنى: (أحسنوا).

هـ– إن تكون إنشائيتين معنى، ولفظ الأولى خبر، والثانية إنشاء، كما في الآية السابقة، إذا ما قدرنا الفعل العامل في المصدر صريح الطلب، وقلنا في التقدير: (أحسنوا إحسانا)، كما هو الظاهر فعطفت جملة: (أحسنوا إحسانا) التي هي إنشائية لفظا، على جملة (لا تعبدون) التي هي خبرية لفظا، وكلاهما إنشائيان معنى.

---

[1]– سورة الأعراف، الآية: 169.

[2]– معجم البلاغة العربية.

[3]– سورة البقرة، الآية: 83.

و– أن تكونا إنشائيتين معنى، ولفظ الأولى إنشاء والثانية خبر، ومثاله قولنا: (قم الليل وأنت تصوم النهار) على معنى (قم الليل وصم النهار)[1]، وهذه عكس الحالة السابقة.

الثالث: أن يكون للجملة الأولى موقع من الإعراب، وقصد إعطاء الثانية هذا الحكم الإعرابي، ووجدت بينهما الجهة الجامعة، ولا يوجد سبب يقتضي الفصل بينهما، أي لا يوجد مانع للوصل، وهذا كعطف المفرد على المفرد، لأن الجملة "لا يكون لها محل من الإعراب إلا وهي واقعة موقع المفرد".[2]

والثابت أن الأصل في الجمل ألا يكون لها محل من الإعراب، لأن الإعراب هو العلاقات التي تربط المفردات بعضها ببعض، وليس للجمل هذه العلاقات حتى تحتل محل المفرد –في نحو: قوله تعالى: ﴿والله يقبض ويبسط وإليه ترجعون﴾[3] فبملاحظة هذه الآية نجد أن الجملة الأولى واقعة خبرا هم المبتدأ، والمراد إشراك الجملة الثانية لها في هذا الحكم، إذ المقصود تصور عظمة الله سبحانه حين يجمع بين القبض والبسط، وبين الجملتين تناسب – إذ القبض ضد البسط.

خلاصة: يستخلص مما سبق إلى أن الوصل بالواو يتعين بين جملتين يكون للأولى موقع من الإعراب ويقصد اشتراك الثانية في هذا الموقع والحكم الإعرابي، إذا كانت بينهما مناسبة وجهة جامعة، في نحو قوله تعالى: ﴿يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء ما يعرج فيها﴾[4]، فإذا لم تكن بين الجملتين مناسبة، يجب الفصل بينهما.

محسنات الوصل: لقد أشار أرسطو في حديثه عن الوصل والفصل إلى ضرورة الوصل في الكلام، لضمان أحكام بنائه، ووحدة معانيه، وذكر أن: "حذف أدوات الوصل، وكثرة تكرار الكلمة الواحدة كلاهما معيب في الأوقال، وذلك لأن الوصل يضم عديدا من الأشياء في وحدة واحدة، فإذا حذفنا

---

(1)– دراسات في الأدب والنقد والبلاغة: 151.

(2)– المطول على التلخيص: 247، دلالات التراكيب: 303.

(3)– سورة البقرة، الآية: 245.

(4)– سورة سبأ، الآية: 2.

الوصل، حدث الأثر العكسي، أي تتجزأ الوحدة"[1]، ولما كان انعدام الوصل يعيب الكلام، فإن وجوده يحسنه ويوثق الرباط بين فقراته، ولهذا الوصل أيضا محسنات تورثه روعة، وتزيده جمالا.

مواضع الفصل: [2]

قد يعترض الجمل التي تترادف وتجيء بعضها أثر بعض، حالات توجب ترك العطف بينها، وتسمى تلك الحالات (فصلا)، ويتعين الفصل أو ترك العطف بين الجملتين أو الجمل المتعافية في المواضع الثلاثة:

أولا: كمال الاتصال

ويراد بكمال الاتصال "أن يكون بين الجملتين اتحاد تام وامتزاج معنوي حتى كأنهما أفراغا في قالب واحد"[3] ففي هذه الحالة تكون الجملة الثانية متصلة من ذات نفسها بالتي قبلها اتصالا وثيقا، بحيث تكون معناها، أو جزء منها، بعد أن تكونا متفقتين في الخبرية لفظا ومعنى، أو معنى فقط، لذلك لا تحتاج إلى رابط خارجي يربطهما، ومن ثم يجب ترك —واو العطف– لما بينهما من ربط معنوي، ولعدم صحة عطف الشيء على نفسه، ولا عطف الجزء على كله، ولذلك لا نقول في هذا الموضع فصلنا، ولكن نقول: تركنا العاطف لقوة اتصال الجملة الثانية بالأولى.

حالات كمال الاتصال:

يكون كمال الاتصال في ثلاث حالات:

1- أن تكون الجملة الثانية توكيدا للأولى، وهو ضربان:

أ- أن تكون الجملة الثانية بمثابة التوكيد المعنوي للأولى، ويتحقق ذلك بأن "يختلف مفهومها ويتحدد في إفادة التقرير لدفع توهم السامع التجوز والفلط"[4] وذلك في نحو

---

[1]– الخطابة لأرسطو: 231-232 (ترجمة عبد الرحمان بدوي).

[2]– محمود عبد الله شكر: الفصل والوصل في القرآن الكريم، المرجع السابق، ص80-137.

[3]– علوم البلاغة: 173.

[4]– دراسات في الأدب والنقد والبلاغة: 143.

قوله تعالى: ﴿ذلك الكتاب لا ريب فيه﴾[1]، فالملاحظ أن التعبير القرآني (لا ريب فيه) بعد جملة (ذلك الكتاب) كمرتبة (نفسه) في قولك: (قدم محمد نفسه) فهي توكيد معنوي للأولى.

ب- أن تكون الثانية بمنزلة التوكيد اللفظي من الأولى "وذلك أن يكون مضمون الثانية هو مضمون الأولى لدفع توهم الغلط في الأولى لسهو أو نسيان أو سبق لسان".[2] وذلك في نحو قوله تعالى: ﴿فمهل الكافرين أمهلهم رويدا﴾ فبتأمل هذه الآية نجد أن الجملة الثانية (أمهلهم رويدا) توافق الجملة الأولى (فمهل الكافرين) لفظا ومعنى، وهي توكيد لفظي للأولى، وبذلك أصبحت الصلة قوية بين الجلمتين فلا تحتاج إلى رابط، لأن التوكيد والمؤكد، كالشيء الواحد، واتحاد الجملتين يمنع العطف ويوجب الفصل بينهما.

2- أن تكون الجملة الثانية بدلا من الأولى، والمقتضى للإبدال كون الجملة الأولى غير وافية بالمراد أو أن يكون فيها خفاء أو قصور في وفائها، فتكون الثانية بدلا من الأولى، والأولى مبدلا منه.

أضرب البدل:

والبدل في الجمل يكون على ثلاثة أضرب:

أ- أن تنزل الثانية من الأولى منزلة بدل الكل من متبوعه، وذلك في نحو قوله تعالى: ﴿بل قالوا مثل ما قال الأولون قالوا أءذا متنا وكنا ترابا وعظاما أءنا لمبعوثون﴾[3] فإذا دققنا النظر في هاتين الآيتين نرى أن جملة (إذا متنا) بدل الكل من الجملة (قالوا: مثل ما قال الأولون)، فالثانية واقعة موقع بدل الكل من الأولى، ولذلك ترك العطف لقوة الربط بين الجملتين.[4]

---

(1)- سورة البقرة، الآية: 2.

(2)- دراسات في الأدب والنقد والبلاغة: 251.

(3)- سورة المؤمنون، الآية: 81-82.

(4)- المعاني في ضوء أساليب القرآن: 329.

ب- أن تنزل الثانية من الأولى منزلة بدل الاشتمال، من متبوعه، في نحو قوله تعالى: ﴿قال يا قوم اتبعوا المرسلين اتبعوا من لا يسئلكم أجرا وهم مهتدون﴾[1] فالملاحظ أن الجملة (اتبعوا من لا يسئلكم أجرا) لم تعطف على جملة (اتبعوا المرسلين) لأن الثانية بمنزلة بدل الاشتمال من الأولى، وأوفى بتأدية المعنى المراد، فالمقصود بالقول الكريم هو "على المخاطبين اتباع الرسل، فالفصل بين الجملتين سببه قوة الصلة بينهما لأن الثانية بدل اشتمال من الأولى".

ت- أن تنزل الثانية من الأولى بدل البعض من متبوعه، وذلك في نحو قوله تعالى: ﴿أمدكم بما تعلمون أمدكم بأنعام وبنين وجنات وعيون﴾[2] والشاهد في جملة "أمدكم بأنعام ...الخ" فإنها جاءت بدل البعض من جملة (أمدكم بما تعلمون) وجملة بدل ابعض أوفى بتأدية المراد مما قبله لدلالتها عليها بالتفصيل، من غير إحالة على عملهم مع كونهم معاندين.

3- أن تكون الجملة الثانية بدلا للأولى وذلك إذا كان في الأول نوع خفاء أو إجمال أو غموض، مع اقتضاء إزالته، فتنزل الثانية من الأولى منزلة (عطف بيان) من متبوعه في إفادة الإيضاح، في نحو قوله تعالى: ﴿فوسوس له الشيطان قال يا ءادم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى﴾[3] فإن الجملة (قال يا آدم بيان وإيضاح وتفصيل لجملة (فوسوس إليه الشيطان)، ومنزلتها منها كمنزلة (عمر) في قول الراجز: أقسم بالله أوب حفص عمر.

ثانيا: شبه كمال الاتصال (أو الاستئناف)

يراد بشبه كمال الاتصال أن تكون الجملة الثانية جوابا عن سؤال مقدر، اقتضته الجملة الأولى، أو فهم منها، وفي هذه الحالة تفصل الجملة الثانية عن الأولى كما يفصل الجواب عن السؤال اكتفاء بما بينهما من الربط المعني، ويسمى الفصل لذلك (استئنافا)، كما تسمى الجملة الثانية

(1)- سورة يس، الآية: 20-21.

(2)- سورة الشعراء، الآية: 132-134.

(3)- سورة طه، الآية: 120.

(مستأنفة)، ويسميه الزمخشري (538هـ) وصلا خفيا تقديرا بغير حروف العطف[1] ومثاله وارد في القرآن المجيد، قال تعالى: ﴿قالوا يا نوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح﴾ فإذا أمعنا في هذه الآية وجدنا أن الجملة الثانية (إنه عمل غير صالح) قد فصلت عن الأولى (إنه ليس من أهلك) لأن الثانية وقفة جوابا لسؤال أثارته الجملة الأولى.

أنواع الاستئناف:

ذكر أن ترك العطف أو الفصل لشبه كمال الاتصال يسمى (استئنافا) وهذا الاستئناف يجيء على ثلاثة أنواع لأن السامع إما أن يجهل السبب من أصله فيسأل عنه، وإما أن يتصور نفي جميع الأسباب إلا سببا خاصا، يتردد في حصوله أو نفيه فيسأل عنه، وتأسيسا على ذلك فإن السؤال المقدر الذي تضمنته الجملة الأولى يكون خاشئا إما عن:

1- **سبب عام للحكم**: (أو سبب الحكم فيها مطلقا)، وذلك في نحو قول الشاعر:

قال لي: كيف أنت؟! قلت: عليل * * * * سهر دائم وحزن طويل

فجملة (أنا عليل) في البيت، أثارت سؤالا عن سبب عام للحكم الذي دلت عليه، فكأنه قال: ما بالك عليلا؟ أو ما سبب علتك؟ بقرينة العرف والعادة.

2- **سبب حاص للحكم: كقوله تعالى**: ﴿وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء﴾[2] وإذا لا حطنا هذا القول الكريم نجد أن جملة (أن النفس لأمارة بالسوء) جاءت جوابا لسؤال تضمنته الجملة الأولى، وكأنه قيل بعد الجملة الأولى: هل النفس أمارة بالسوء؟ فقيل نعم، أن النفس لأمارة بالسوء وهذا يقتضي تأكيد الحكم الذي في جملة الجواب.[3]

---

[1]- الكشاف: 198/2 (دار الكتاب العربي).

[2]- سورة يوسف، الآية: 53.

[3]- الإيضاح: 257/1.

ثالثا: كمال الانقطاع

هو أحد الأسباب التي توجب الفصل بين الجملتين أو الجمل، ويكون لأمر يرجع إلى الإسناد، ويتحقق كمال الانقطاع عنما يكون بين جملتين تباين تام، وذلك اختلافهما خبرا وإنشاء.

ويأتي كمال الانقطاع في ثلاثة صور:

1- أن تكون إحدى الجملتين خبرية لفظا ومعنى، والثانية لفظا ومعنى، في نحو قوله تعالى: ﴿ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن﴾[1] فإذا نظرنا إلى هذا القول الكريم نجد أن الجملة الأولى (لا تستوي ...) خبرية لفظا ومعنى، والجملة الثانية: (ادفع بالتي هي أحسن) إنشائية لفظا ومعنى، فهي إنشاء طلبي صيغته الأمر، وبينهما تباين تام وانقطاع كامل، وهذا مما يستوجب الفصل بينهما.

2- أن تكونا الجملتان مختلفتين خبرا وإنشاء في المعنى فقط، وإن كانت متفقتين خبرا وإنشاء في اللفظ. وذلك في مثل قوله تعالى: ﴿الحمد لله رب العالمين الرحمان الرحيم ملك يوم الدين إياك نعبد﴾[2] فالجملة (إياك نعبد) قد فصلت عن جملة (الحمد لله) لاختلافهما في الإسناد معنى، لأن جملة (الحمد لله) خبرية في اللفظ، إنشائية في المعنى، وجملة (إياك نعبد) خبرية في اللفظ والمعنى، وهذا من القبيل قولهم: (مات فلان، رحمه الله)، لأن (رحمه الله) جملة إنشائية معنى، وجملة (مات) خبرية لفظا ومعنى[3] ومثل ذلك قولك: قال الرسول (صلى الله عليه وسلم)، فجملة: (قال الرسول) خبرية لفظا ومعنى، وجملة (صلى الله عليه وسلم)، خبرية لفظا، إنشائية معنى، فهما متفقتان في الخبرية لفظا، ولكنهما مختلفتان معنى، فحدث بينهما تباين، ففصلتا، لأن الفصل لا يوهم خلاف المقصود.

---

[1]- سورة فصلت، الآية: 34.

[2]- سورة الفاتحة، الآية: 1-4.

[3]- دراسات في الأدب والنقد والبلاغة: 148.

3- أن لا يكون بين الجملتين جامع أو تناسب يصحح العطف بينهما، مع اتفاقهما خبرا وإنشاء، ويتحقق ذلك بأن تكون الجملتان متحدتين في الإسناد ومتفقتين في الخبرية والإنشائية، ولكن لا يوجد بينهما صلة أو مناسبة أو نوع ارتباط لا بين المسندين فيهما ولا بين المسند إليهما، أي لا جامع بينهما، وذلك في نحو قول الشاعر:

فإن جملة (من اتقى الله ...الخ) فصلت عن جملة (الفقر فيما جوز الكفافا) لعدم التناسب والربط بينهما، فلا توجد بينهما حجة جامعة مع أن الجملتين –كما ترى– قد اتفقتا خبرا وإنشاء لفظا ومعنى، الأمر الذي يوجب وصلهما.

رابعا: شبه كمال الانقطاع

ويقصد به أن جملة مسبوقة بجملتين يصح عطفها على الأولى منهما لوجود، ولا يصح عطفها على الثانية، لفساد المعنى، فيترك العطف كلية دفعا لتوهم أن تكون الجملة معطوفة على التي لا يصح العطف عليها، وتصبح الجملة الثالثة بمنزلة المنقطعة عن الأولى، وهذا ما يطلق عليه البلاغيون "شبه كمال الانقطاع، ويسمى الفصل به (قطعا)".

أقسام القطع:

قسم السكاكي القطع إلى قسمين:

1- **القطع الاحتياط:** "وهو ما لم يكن لمانع من العطف"[1]، ويقصد بالاحتياط قطع الجمل وخشية وقوع السامع بأن يعتقد أنها معطوفة على جملة لا يصح عطفها عليها.

2- **القطع للوجوب:** وهو ما يكون لمانع من العطف يحول دون إمكان عطفها على غيرها، كأن لم يكن للأول حكم لم يقصد إعطاؤه للثانية، في نحو قوله تعالى: ﴿وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزءون الله يستهزئ بهم﴾[2] جملة (الله يستهزئ

[1]– الإيضاح: 255/1.

[2]– سورة البقرة، الآية: 14-15.

بهم) لو عطفت لكان ينبغي أن تعطف على جملة (قالوا) أو جملة (إنا معكم)، وكلاهما لا يصح العطف عليهما للسبب المذكور آنفا، لذلك يجب أن تقطع وجوبا.

ومثل ذلك قول الشاعر:

وتظـــن ســـلمى أنـــني أبغـــي بهـــا * * * * بـــدلا، أَرَاهـــا في الضـــلال تهـــيم

ففي هذا البيت ثلاث جمل: (تظن سلمى) و(أنني أبغي بها) و(أَرَاها)، فإذا نظرنا إلى هذه الجمل نرى أن جملة (أنني أبغي) من مظنونات سلمى، وجملة: (أراها) من كلام الشاعر، فلا يصح عطف جملة (أراها) على جملة (أنني أبغي)، حرصا على سلامة والمعنى وعدم إفساده، لأن السامع قد يتوهم أنها معطوفة على جملة (أبغي)، لقربها منها، فتكون حينئذ من مظنونات سلمى، لكن يصح عطف جملة (أراها) على جملة (وتظن سلمى)، لوجود المناسبة بينهما، حيث أن جملة (أراها) حاصل معناها (أظنها)، فهي مع جملة (تظن سلمى) متحدتا المسندين، والمسند إليه في الأولى (محبوب) وفي الثانية (محب).

العلاقة بين التراكيب الحالية والفصل والوصل: [1]

من المعلوم أن التراكيب الذي يأتي في موقع الحال، يقترن تارة بالواو، وتارة لا يقترن بها، والوصل الربط والاقتران بالواو، والفصل ترك الربط بها، فاقتران الجملة الحالية –بالواو– يشبه الوصل، وعدم اقترانها بالواو، يشبه الفصل وهذا يجري على أن (واو الحال) واو العطف في الأصل، ومن ثم صار للجملة حالتا وصل وفصل، بحسب الصورة، ولما كانت الحال بمثابة الوصف لصاحبها، فهي تقع ضمن كمال الاتصال تماما، وهذا هو سبب إلحاق أهل المعاني فروق الجملة الحالية وحالات اقترانها بالواو وعدمها ببحث الفصل والوصل.

أسرار بلاغة الوصل بالواو في القرآن الكريم:

ذكر فيما سبق أن الوصل ربط الجمل بعضها ببعض واحد من حروف العطف، وأكثر أهل المعاني على أن الوصل مختص –بالواو– بين هذه الحروف، لأنها أم الباب ورأس حروف العطف،

[1]– محمود عبد الله شكر: الفصل والوصل في القرآن الكريم، المرجع السابق، ص144-171.

إذ لا تناقض واحدا منها، ويتمثل فيها أساس معنى العطف وجوهره وهو الجمع، فالواو –بإجماع المحققين– لمطلق الجمع، فهي "ليست للترتيب إنما لمجرد الاشتراك"[1] ولكن هذا لا يعني أنها لا تأتي للترتيب البتة، بل قد تأتي للترتيب وغيره، والجمع الذي تختص به الواو يشكل القاعدة في العطف، وهو النواة التي يتولد منها سائر معاني أخواتها من حروف العطف، كالجمع على سبيل الترتيب تعاقبا أو تراخيا، أو على معنى السببية، وما إلى ذلك من معاني أدوات العطف، والجمع بين الجملتين بالواو ينبغي النظر إليهما على أنهما جملتان مستقلتان متماثلتان، تشتركان في الحكم، وموقع الواو بين الجمل دقيق وخفي[2]، عسير الإدراك، صعب التحديد، بخلاف نظيراتها من حروف العطف التي لها معانيها المعلومة، لا سيما في عبارات القرآن الكريم التي استعمل فيها الواو ألطف استعمال وأبدعه وأدقه، في نحو قوله تعالى: قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاء لِّلسَّائِلِينَ[3]، فنجد أن مواضع الوصل في هذين التعبيرين القرآنيين نوضح أن العلاقة بين ما وصل بينها الواو علاقة اشتراك في الحكم العام، والصلة بينها صلة تعاطف بين جزأي المعنى، مع تميز كل جزء من الجزأين واستقلاله بموضعه من المعنى العام، ذلك أن الكفر بالذي خلق الأرض في يومين موصول باتخاذ الشركاء واصطناع الأنداد، ولو حذف حرف الوصل الذي هو الواو، وذكر في غير القرآن: أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين تجعلون له أندادا ...الخ، لصار معنى ذلك أن اتخذا الأنداد والشركاء تبيين وتفسير للكفر، فلا يكون حينئذ للجملة الثانية الكيان المستقل الذي ننشده لطرفي العطف، كما أن التعبير القرآني الذي يقع بين النصين المتعاطفين، وهو قوله (ذلك رب العالمين) ليس تابعا للآية الأولى، ولا يشاركه في الحكم، بل له كيان مستقبل قائم بذاته، هذا هو شأن الواو التي توصل بين الآيات في نظام بديع ودقة متناهية ينفرد بها أسلوب القرآن الكريم المعجز بنظمه وتأليفه.

---

(1)– التعبير القرآن: 177.

(2)– ينظر في الربط بالواو العاطفة و واو الحال: الربط في الجملة العربية: 125 وما بعدها.

(3)– سورة فصلت، الآية: 9-10.

بلاغة العطف بغير الواو من حروف العطف في الأسلوب القرآني:

لا تنحصر دقة القرآن العظيم في وصل آياته بالواو فحسب، وإنما تتجلى دقته وروعته في ربط آياته بباقي حروف العطف غير الواو، في نحو الفاء وثم وغيرها فإذا تأملنا قوله تعالى: ﴿قَالَ أَفَرَأَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الأَقْدَمُونَ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلاَّ رَبَّ الْعَالَمِينَ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ﴾[1] نجد أن السقي قد عطف على الإطعام بالواو إرادة للجمع بينهما، وتقديم أحدهما على الآخر جائز، إذ لا ترتيب فيهما، خلا أن مراعاة حسن النظم والمشاكلة أوجب ذلك، ثم عطف (يشفي) بالفاء لأن الشفاء يتعقب المرض، وتنبيها على عظم المنة بالعافية بعد المرض من غير تراخ، ثم عطف الإحياء بعد الإماتة بـ (ثم)، لأن الإحياء بعد الموت إنما يكون بمهلة وتراخ، ما على إدخال الضمير المؤكد (هو) في قوله سبحانه وتعالى: (هو يطعمني ويسقيني) وقوله (فهو يشفين)، فأظن أن يستحسن أن يقال فيها، أن ذكر الإطعام والسقي والشفاء يحتاج إلى هذا التوكيد، أنهما مما يدعي الخلق فعله، فيقال فلان يطعم فلانا، والطبيب يداوي ويسبب الشفاء، فكان إضافة هذين الفعلين إلى الله تعالى محتاجة إلى لفظ توكيد لما يتوهم من تضيفه إلى المخلوق إلى ما لا يحتاج إليه إضافة الموت والحياة، لأن لا أحدا يدعي فعلهما.

سر الاستئناف الجوابي في الأسلوب القرآني:

معنى الاستئناف ليس ابتداء كلام منقطع عن سابقه كما يشعر بذلك لفظ الاستئناف، وكما يعتقد كثير من أهل النحو والبلاغة، وإنما هو استئناف جواب لسؤال يقدر أن يثيره التركيب المتقدم في نفس المتلقي، واستئناف الجواب هذا يتم به الكلام المنبثق عن الجملة السابقة، التي يمكن أن تعد كأصل أوو كأمٍ لهذه الجملة، ولذلك نرى الجملة المستأنفة لا تستقل معنويا بنفسها، وإن امتدت أو طالت، أو تكررت فروعها، فلا تكون أصلا أو محورا في الكلام، أو جذرا من جذوره ... والاستئناف الذي أطلق عليه (الاستئناف الجوابي) يكون بلفظ (قال) و(إنّ) واسم الإشارة، نحو (هذا) و(ذلك)، وأمثلة هذا الطراز من الفصل أو الوصل مبثوثة في أساليب الحوار في قصص القرآن الكريم.

[1]– سورة الشعراء، الآية: 75-81.

أ- جمالية أسلوب الاستئناف بـ (قال) في الحوار القرآني:

إن من أروع وأبدع مواضع الفصل بين تركيبين قرآنيين يتمم أحدهما الآخر، وقد يسبق هذا اللفظ بحرف عطف، فيكون في هذه الحالة آتيا في أثر مركب يكون معطوفا عليه، ومثال وروده معطوفا على ما قبله بالواو والفاء، قوله تعالى: ﴿وقالوا اتخذ الرحمان ولدا﴾[1] وقوله تعالى: ﴿هل أتاك حديث ضيف إبراهيم المكرمين إذ دخلوا عليه فقالوا سلاما﴾[2] فهذا هو الوصل الظاهر بالعطف، أما ورود (قال) في التنزيل مفصولا عما قبله مقطوعا منه، ففي قوله تعالى في قصة فرعون عليه اللعنة ورد موسى (عليه السلام) على كلامه: ﴿قال فرعون وما رب العالمين قال رب السماوات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين ..... قال فأت به إن كنت من الصادقين﴾[3] فإن مدقق النظر في هذا الحوار القرآني نجد أنه جاء على ما يقع في أنفس المخلوقين من السؤال، فلما كان في العرق والعادة فيما بين المخلوقين إذا قيل لهم: دخل قوم على فلان فقالوا كذا، أن يقولوا فما قال هو؟ ويقول المجيب: قال كذا.

أسرار دخول الفاء والواو على لفظ (قال) في الأسلوب القرآني:

يرد في التراكيب القرآنية اقتران الجملة الواقعة موقع الجواب والمصدرة بلفظ القول بحرفي الوصل (الواو) أو (الفاء) فتكون معطوفة على ما قبلهما بهما، فتخرج هذه التراكيب -حينئذ- عن كونها منزلة الجواب، لأنها لا تكون واقعة موقع الجواب إلا إذا كانت مفصولة عما قبلها، مقطوعة منه، وشاهد ذلك قوله تعالى: ﴿وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين﴾[4] وقوله تعالى: ﴿فنظر نظرة في النجوم فقال إني سقيم﴾[5] متمعن النظر في هذه الآيات الكريمة، نجد أن التراكيب التي يتصدرها (قال) موصولة بما قبلها بالواو والفاء وغير مقطوعة، لذلك لا تعد استئنافا، لأن الاستئناف "هو الاتيان بكلام مستقل في جميع أجزاء تركيبه عما قبله يستلزم قطعه أي ترك عطفه

---

(1)- سورة مريم، الآية: 88.

(2)- سورة الذاريات، الآية: 24-25.

(3)- سورة الشعراء، الآية: 23-31.

(4)- سورة الزمر، الآية: 73.

(5)- سورة الصافات، الآية: 88-89.

على ما قبله"[1]، فألفاظ (قال) المقترنة بحروف العطف المتصلة مع ما قبلها كما ترى، لذا لا يصح جعلها واقعة موقع الجواب، لأن الجواب يغاير السؤال، وأما دخول الفاء على قوله "فقال" يجعل الكلام مرتبا بعضه عللا بعض وليس متولدا بعضه من بعض، وأما مجيء التراكيب القولية مقترنة بالواو فإنها تؤذن باستقلال الكلام من غير أن يشير إلى ترتيب بعضه على بعض لأن الواو –كما هو معروف– تجمع ولا ترتب.

ب– بلاغة الاستئناف بـ (إنّ) في الأسلوب القرآني:

فالوصل بـ (إنّ) أحد روائع الأساليب القرآنية الذي يكون لا بحرف العطف إنما يكون بـ (إنّ) وهو وصل قائم أو بني معناه على قطع، وفائدته تنبيه (المتلقي) إلى علاقة وثيقة بين أجزاء الكلام، وهذا الضرب من الاستئناف شائع في الذكر الحكيم: نحو قوله تعالى: ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم﴾[2] وقوله تعالى: ﴿ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرقون﴾[3] من يتمعن في هذه التراكيب الكريمة، يرى كيف أن العبارات التي تأتي قبل (إنّ) وتأتي بعدها بينها علاقة تشبه أن تكون علاقة سببية كالتي بين العلة والمعلول.

ج– بلاغة الاستئناف بـ (هذا) في الأسلوب القرآني:

يرد في التراكيب القرآنية استخدام اسم الإشارة (هذا) في ربط مقطع الكلام بعضها ببعض استخداما رائعا، فجاءة العبارة القرآنية على أعلى مستوى في اللغة، وأرقى أسلوب في البيان، والمتدبر قوله تعالى في صوره (ص) بعد ما ذكر قصة أنبياء الله داود وأيوب وإبراهيم وإسحاق وإسماعيل واليسع وذي الكفل، قال سبحانه: ﴿وكل من الأخيار هذا ذكر وإن للمتقين لحسن مئاب﴾[4]، ومن ثم ذكر عقيب ذلك أحوال نعيمهم، وحين هم بالانتقال إلى مقطع جديد، قال تعالى: ﴿هذا وإن

---

[1]– مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح: 3، 56-57.

[2]– سورة الحج، الآية: 1.

[3]– سورة المؤمنون، الآية: 27.

[4]– سورة ص، الآية: 48-49.

للطاغين لشر مئاب﴾[1]، فنرى أن اسم الإشارة (هذا) قد وقع في هاتين العبارتين الكريمتين "موقعا كأنه معبرة تستروح عندها النفس، وتجدد حيويتها ونشاطها لتستأنف شوطا جديدا".[2]

وقال أبو البقاء العكبري (616هـ) في اسم الإشارة في هذه الآية قوله تعالى: (هذا) أي الأمر، هذا، ثم/تستأنف فقال "وإن للطاغين" فإن التعبير القرآني (هذا ذكر) يأتي في أعقاب الكلام ونهايته وكأنه تكملة أو تذييل. فالله سبحانه قد أكد تلك القصص باسم الإشارة والعطف بذكرها على ما سبق، ليؤكد أمرها ويوضح حالها من أجل أن لا يخالج فيها لبس أن يعتريها ريب.

خلاصة:

الكلام السابق فإنه تأكيد له من هذا الوجه –كما ذكر– لذلك قطع عنه واستؤنف كلام جديد بـ (هذا) لأن المؤكد لا يعطف على المؤكد لاستحالة عطف الشيء على نفسه، أو عطف الجزء على كله. فما أجل هذا من تعبير وما أعظمه من كلام، إذا جاء منسقا بطريقة فنية في غاية البراعة والدقة والروعة.

المبحث الثاني: دراسة بلاغية

التعريف بالسورة:

سورة الكهف هي سورة مكية، ترتيبها في المصحف الشريف الثامنة عشرة (18)، نزلت بعد سورة الغاشية، وترتيب نزولها تسع وستون (69).

عدد آياتها مائة وعشر آيات، عدد حروفها 6425، عدد كلماتها 1583.

الوصل في المفرد:

يرى عبد القاهر العطف في الكلام إما أن يكون عطف مفرد على مفرد، أو عطف جملة على جملة، ففائدة العطف في المفرد "أن يشرك الثاني في إعراب الأول، وأنه إذا أشركه في إعرابه فقد أشركه

---

[1]– سورة ص، الآية: 55.

[2]– دلالات التراكيب: 363.

في حكم ذلك الإعراب، نحو أن المعطوف على المرفوع بأنه فاعل مثله، والمعطوف على المنصوب بأنه مفعول به أو فيه أو له، شريك له في ذلك" قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا﴾ (الكهف/9). فكلمة (الرقيم) عطفت على الكهف فأخذت حكمها وإعرابها بغرض إشراكها لكلمة الكهف.

الوصل في الجمل:

قضية عطف جملة على جملة، يرى عبد القاهر أن الجمل تعطف على بعضها البعض، وهو العطف أو الوصل يكون:

أن يكون المعطوف عليها موضع من الإعراب، وإذا كانت ذلك كان حكمها المفرد إذ لا يكون للجملة موضع من الإعراب حتى تكون واقعة موقع المفرد، وإذا كانت الجملة الأولى واقعة موقع المفرد كان عطف الثانية عليها جاريا مجرى عطف المفرد وكان وجه الحاجة إلى الواو ظاهرا والاشتراك بها في الحكم موجودا.

كقولنا (هو ينفع ويضر، ويعطى ويمنع)، فالواو جاءت لتفيد أن الفعلين جميعا له، فهو يفعلهما معا وعلى هذا القبيل قوله تعالى: ﴿ قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾ (الكهف/26) فجاء بما دل على التعجب من إدراكه المسموعات والمبصرات للدلالة على أن أمره في الإدراك خارج عن حد ما عليه إدراك السامعين والمبصرين ...، أي أن الفعلين السمع والبصر جميعا له.

أولا: مواضع الوصل

الموضع الأول: أن يكون للجملة الأولى حكم، قصد تشريك الثانية معها فيه، كما في قوله تعالى: ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا﴾ (الكهف/18).

الموضع الثاني: أن يكون بين الجملتين كمال الانقطاع مع الإيهام، أو كما سماه البعض بالوصل لدفع الإيهام كقولك (لا، وعفاك الله) فإن قولك (لا) رد لكلام سابق، كما لو قيل: هل الأمر كذلك؟ فقيل: (لا) أي ليس الأمر كذلك "فبين الجملتين كمال الانقطاع، لأن جملة (لا) خبرية لفظا ومعنى، والجملة (وعفاك الله) خبرية لفظا وإنشائية معنى، وكمال الانقطاع يوجب الفصل بين الجملتين، لأن ترك العطف يوهم خلاف المراد، وهو الدعاء على المخاطب، مع أن المقصود الدعاء له، فجملة (عفاك الله) تدخل في معنى سؤال السائل، إلا أنها جملة انقطعت عن الجملة الأولى وهو جواب عن ذلك السؤال". ففي سروة الكهف يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا﴾ (الكهف/18).

الموضع الثالث: أن يكون بين الجملتين ما يسمى بالتوسط بين الكمالين، والمراد بالكمالين كمال الاتصال وكمال الانقطاع، وذلك بأن تتفق الجملتان في الخبرية أو الإنشائية، ولفظا ومعنى، أو معنى فقط، وفي سورة الكهف نجد من هذا القبيل في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾ (الكهف/34).

وقوله تعالى: ﴿لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا﴾ (الكهف/38).

مواضع الفصل:

الموضع الأول: أن يكون للأولى حكم لم يقصد إعطاؤه للثانية، والحكم ثابت للجملة الأولى الذي لم يقصد إعطاؤه للثانية.

الموضع الثاني: أن يكون بين الجملتين كمال الاقطاع، بأن تختلف الجملتان اختلافا تاما، فيترك العطف لاقتضائه التناسب بين المعطوف والمعطوف عليه ويتحقق ذلك في عدة موارد: أن تختلف الجملتان، خبرا وإنشاء، لفظا ومعنى، بأن تكون إحداهما خبرا، لفظا ومعنى، والأخرى إنشاء لفظا

ومعنى، كقوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْئِلًا﴾ (الكهف/58).

الموضع الثالث: أن يكون بين الجملتين كمال الاتصال، بأن تتحد الجملتان اتحادا تاما، حتى كأنهما شيء واحد، فيترك العطف فالشيء لا يعطف على نفسه، ويتحقق ذلك في:

أ- أن تكون الجملة الثانية مؤكدة للأولى، فيترك العطف كما يترك في المفرد. وفي قوله تعالى: ﴿مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ (الكهف/5).

ب- أن تكون الجملة الثانية مبينة وموضحة لما يراد من الأولى، كما توضح الصفة الموصوف وتبينه ومن هذا المورد قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا قَيِّمًا لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا﴾ (الكهف/1-2).

الموضع الرابع: أن تكون بين الجملتين شبه كمال الاتصال، بأن تكون الجملة الثانية جوابا عن سؤال اقتضته الجملة الأولى، فتنزل الأولى منزلة السؤال، لإشعارها به فتفصل الثانية عنها كما يفصل الجواب عن السؤال ونجد في سورة الكهف نموذجا لهذا النوع من الفصل الاستئنائي وهو ما دار بين موسى عليه السلام وفتاه، ثم الحوار الذي دار بين موسى والخضر عليهما السلام وذلك في قوله تعالى: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا (65)قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا (66) قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (67) وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا (68) قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا (69) قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ (الكهف/65-70).

الآيـــــة	رقـم الآيـة	مواضع الفصل
الْحَمْدُ للَّه الَّذي أَنْزَلَ عَلَىٰ عَبْده الْكتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عوجًا قَيِّمًا لِيُنْذرَ بَأْسًا شَديدًا منْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمنينَ الَّذينَ يَعْمَلُونَ الصَّالحَات أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا	(02-01)	حيث فصل جملة (قيما لينذر بأسا شديدا من لدنه) عما قبلها، لكونها تفسيرا وتبيانا لذلك الكتاب الذي لم يجعل له اعوجاج وهو القرآن الكريم.
مَا لَهُمْ به منْ علْم وَلَا لآبَائهمْ كَبُرَتْ كَلمَةً تَخْرُجُ منْ أَفْوَاههمْ إنْ يَقُولُونَ إلَّا كَذبًا	(05)	فجملة (إن يقولون ...) جاءت مؤكدة لجملة (كبرت كلمة) بأنها افتراءات، والتأكيد الثاني أبلغ من التأكيد الأول بأنها أكاذيب ليس لها أي علم عما يقولونه ويدعونه، لا هم ولا حتى آباؤهم، فيرى في الآية ثلاث جمل تبينها كمال الاتصال، مؤكدة لما قبلها، لذا ترك العطف بينها.
وَربُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَة لَوْ يُؤَاخذُهُمْ بمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ بَلْ لَهُمْ مَوْعدٌ لَنْ يَجدُوا منْ دُونه مَوْئلًا	(58)	فلم يعطف جملة (لو يؤاخذهم بما كسبوا ...) على جملة (وربك الغفور) لأن كل جملة تختلف عن الأخرى إنشاء ومعنى.
فَوَجَدَا عَبْدًا منْ عبَادنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً منْ عنْدنَا وَعَلَّمْنَاهُ منْ لَدُنَّا علْمًا (65)قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبعُكَ عَلَىٰ أَنْ تُعَلِّمَن ممَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا (66) قَالَ إنَّكَ لَنْ تَسْتَطيعَ مَعيَ صَبْرًا (67) وَكَيْفَ تَصْبرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحطْ به خُبْرًا (68) قَالَ سَتَجدُني إنْ شَاءَ اللَّهُ صَابرًا وَلَا أَعْصي لَكَ أَمْرًا (69) قَالَ فَإن اتَّبَعْتَني فَلَا تَسْأَلْني عَنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحْدثَ لَكَ منْهُ ذكْرًا	(70-65)	فلم يأت الآيات ثم قال له موسى ... ثم قال إنك ... ثم قال ستجدني ... الخ، جاءت منفصلة لوجود شبه كمال الاتصال بين هذه الآيات، بأن تكون الجملة الثانية جوابا عن سؤال اقتضته الجملة الأولى، لتنزل الأولى منزلة السؤال فتفصل الثانية عنها، كما يفصل الجواب عن السؤال المحقق.

الآيـــــة	رقـم الآيـة	مواضع الوصل
أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا	(09)	فكلمة (الرقيم) عطفت على الكهف فأخذت حكمها وإعرابها بغرش إشراكها لكلمة الكهف، والعطف هنا عطف مفرد على مفرد، ففائدة العطف في المفرد أن يشرك الثاني في إعراب الأول، وإذا أشركه في إعرابه فقد أشركه في حكم ذلك الإعراب.
وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا	(18)	فبين جملة (ذات الشمال) وجملة (كلبهم باسط ذراعيه ...) كمال الانقطاع، فقد كان تقلب أصحاب الكهف يمينا وشمالا، بينما كلبهم فقد كان باسط ذراعيه أمام فوهة الكهف، فلو ترك العطف لتوهم القارئ بأن أصحاب الكهف كانوا عن اليمين، وكلبهم كان عن الشمال باسطا ذراعيه بالوصيد، فالناظر إلى هذه الصورة الفنية التي أوجدها وضع الوصل بين الجمل، جعل الحدث يتحرك أمام الأعين.
قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا	(26)	عطف جملة (أسمع) على جملة (أبصر)، بقصد إشراك الثانية في حكم الأولى، فجعل الفعلين جميعا له.
وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا	(28)	مثال للإنشائين لفظا ومعنى، فجملة (واصبر نفسك) وجملة (ولا تعد ...) وجملة (ولا تطع ...) كلها جمل إنشائية، لأنها أفادت الأمر في المستقبل، فوجب وصلها ببعضها.
وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا	(34)	فجملة (أنا أكثر منك مالا) خبرية، تبعتها جملة خبرية ثانية مشابهة في الصورة (أعز نفرا) أي أنا أكثر منك مالا وأنا أيضا أعز منك، فكلا الجملتين إخبارية فوجب الوصل بينهما.
لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا	(38)	مثال للمختلفتين، فجملة (ولا أشرك بربي أحدا) إنشائية لفظا خبرية معنى، وأصله لكن أنا، فحذفت الهمزة فألقيت حركتها على نون لكن فتلاقت النونان فكان الإدغام... وهو استدراك لقوله أكفرت؟ قال لأخيه أنت كافر بالله لكنة مؤمن موحد، فالمراد لكن الله هو لابي ولا شريك له، فالاتفاق في الجملتين أنهما خبرية في المعنى وفي اللفظ.

مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا	(51)	فعطفت جملة (ولا خلق أنفسهم) على (خلق السماوات والأرض) وذلك لأن الجملة الأولى قصد منها أن تشارك حكم الجملة الثانية (خلق السماوات والأرض) فالصورة الفنية هنا هي أن الله سبحانه وتعالى لم يشهد إبليس وأعوانه خلق السماوات والأرض ولا حتى كيفية خلقهم، ثم نجد في الآية نفسها، جملة (ما كنت متخذ المضلين عضدا) معطوفة على (ما أشهدتهم خلق السماوات والأرض ...)، وهي صورة فنية ثانية مرتبطة بالصورة الأولى، أي أن الله سبحانه وتعالى لم يشاور إبليس وذريته في خلق السماوات والأرض ولا حتى في خلقهم أنفسهم، كما لم يطلب العون والمساعدة من المضلين في أي أمر كان.

الخاتمـــــة

خاتمة:

بعد الدراسة لموضوع بحثنا هذا نستنتج بعض النقاط نوجد أهمها فيا يلي:

- إن أسلوب الفصل والوصل يشكل مركز النقاء بين علم المعاني وعلم النحو، لأن الوصل عطف التراكيب بعضها على بعض بحروف العطف، وهو ماثل في باب العطف من النحو، والفصل ترك العطف بينهما.
- يعد هذا الأسلوب مظهرا من أهم مظاهر الخروج عن نطاق الجملة الواحدة، والتجاوز إلى إطار القطعة أو النص الكامل. وهذا ما يعين على الفهم الشامل والنظرة الكلية إلى النصوص بعيدا عن التجزئة والتطبع اللذين يخلان بجمالية الكلام ويضران بوحدته.
- إن الفرق الأساس الذي يكمن بين الفن البلاغي وعلم النحو، هو أن الأسلوب البلاغي يراعي تحكيم الذوق في اختيار الصور التركيبية وربطها بمدلولاتها الطبيعية الصحيحة، أما علم النحو فيشترط فيه صحة التركيب فحسب، دون مراعاة ذوق المتلقي ونفسيته والمعاني التي تؤديه عبارات الباث.
- إن العطف لا يعني التشريك التام في الحكم الإعرابي والمعنى بين المعطوف والمعطوف عليه، بل مع الاختلاف في الرتبة والدرجة بينهما، بدليل أن الواو تفيد مطلق الجمع لا اشتراط تمام التشريك بين المتعاطفين، لذا يعطف بها الإنشاء على الخبر، والنفي على المثبت، والنهي على الأمر، والاسم المشبه بالفعل على الفعل وبالعكس في كل ما تقدم.

الفهـــرس

الفــهرس

رقم الصفحة

البسملة:.....

الإهداء:.....

التشكرات:.....

الفهرس:.....

مقدمة :..... أ/ج

مدخل:..... I

تاريخية المقارنة بين البلاغتين العربية والفارسية..... I

مصادر البلاغة عند الفرس..... I

التأثير والتأثر II

البلاغة علوما ثلاثة II

الفصل الأول: البلاغة العربية 02

البلاغة العربية وأقسامها 02

المبحث الأول: علم المعاني 03

مباحث علم المعاني 05

المبحث الثاني: علم البديع..... 56

المحسنات المعنوية 57

المحسنات اللفظية 75

المبحث الثالث: علم البيان 80

التشبيه 80

المجاز وأنواعه 86

الاستعارة 89

الكناية 93

الفصل الثاني: الفصل والوصل (دراسة بلاغية) سورة الكهف أنموذجا 96
المبحث الأول: الفصل والوصل في اللغة والاصطلاح البلاغي 96
تطور دراسة أسلوب الفصل والوصل في البلاغة العربية..... 99
بلاغة الوصل بالعطف 103
حالات الفصل والوصل في المفردات 104
ربط المفردات والجمل 107
مواضع الوصل 109
مواضع الفصل 113
أسرار بلاغة الوصل بالواو في القرآن الكريم 119
أسرار دخول الفاء والواو على لفظ (قال) في الأسلوب القرآني 122
المبحث الثاني: دراسة بلاغية للسورة 124
الوصل في المفرد 124
الوصل في الجمل 125
خاتمة..... 131
قائمة المصادر المراجع..... 132

قائمة المصادر

والمراجع

مصادر البحث ومراجعه:

1- أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ط1، 1422هـ-2002م، دار الآفاق العربية، القاهرة.

2- محمود عبد الله شاكر: الفصل والوصل في القرآن الكريم، دراسة بلاغية، ط1، 2009م، عمان دار دجلة، الأردن.

3- محمد إبراهيم: معالم القرآن السنة، قضايا الفصل والوصل في سورة الكهف،
71800, bandar baru Nilai, Negeri sembilau maleysia

4- إحسان صادق سعيد: علوم البلاغة عند العرب والفرس (دراسة مقارنة)، ط1، (1411هـ-200م)، الناشر: المستشارية الثقافية الإيرانية في دمشق.

5- وليد ابراهيم قصاب: البلاغة العربية: علم المعاني، دمشق دار الفكر، مكتبة الأسد، ط2، 2014.

6- وليد ابراهيم قصاب: سلسلة البلاغة العربية علم البديع دمشق دار الفكر، ط2، 2014.

7- القرآن الكريم برواية ورش.